روايات مصرية للجيب

مغامرات

٢٨

قضية أسلحة الدمار

سلسلة الغا... مثيرة للناشئين

٤ × ٢

Looloo
www.dvd4arab.com

٥ ــ لصوص السلاح ..

توقّفت سيارة كبيرة ، من نوع اللّورى ، أمام واحد من أكبر متاجر بيع الأسلحة فى (القاهرة) ، فى الرابعة صباحًا ، وتوقّفت محرّكاتها ، فساد الحىّ كله هدوء تام ، جعل المشهد كله أشبه بصورة فوتوجرافية ساكنة ، لولا تلك الحركة السريعة ، لهذين الشابّين ، اللذين قفزا من سيّارة اللّورى فى نشاط ، وشرعا يعالجان قُفْل المَتْجَر فى مهارة وسرعة ، حتى انتزعاه من مكانه ، ثم وقف أحدهما يرقب الطريق فى توتُّر واضح ، على حين راح الآخر يرفع الباب المعدنىّ المتحرّك للمتجر ، محاولًا ألا يُصْدِرَ صوتًا مسموعًا ، ثم انهمك فى معالجة مِزْلاج الباب الزجاجىّ الداخلىّ للمَتْجر ، ولم تمضِ خمسُ دقائق ، إلّا وكان المِزْلاج قد أطاع محاولات الشاب ، فانزاح من مكانه ، وفتح له الطريق إلى داخل المَتْجَر ..

وبإشارة صامتة من ذلك الشاب ، قفز ثالث من اللّورى ، وفتح صندوقه الداخلىّ ، ووقف متأهّبًا ، مستعدًّا للعمل ..

وانضمَّ الشابُّ الثانى إلى الأوَّل ، ودفع كلاهما مِصْراعى الباب الزجاجىّ الداخلىّ ، وهما ينويان سرقة كل الأسلحة والذخائر ، التى يحويها المَتْجَر الضخم ، ونقلها إلى اللُّورى ..

ولم يكد مِصْراعا الباب ينفرجان ، حتى شقَّ السُّكونَ دوىٌّ هائل ، لصفَّارة إنذار قويَّة ، أضافها صاحب المتجَر لمزلاج الباب ، وجعل لها أسلوبًا ميكانيكيًّا خاصًّا ، يجعلها تنطلق فَوْرَ فتح المزلاج عَنْوةً ، ولا تتوقَّف أبدًا ، حتى ولو أُعيد إغلاق الباب ، إلَّا بالضغط على زرٍّ خفىٍّ خاصّ ..

وهتف الشابّ الأوَّل فى سُخْط وذُعْر :

ــ اللَّعنة لقد كُشِف أمرنا .

تراجع الشابّ الثانى فى رُعْب ، وهو يَهْتِف :

ــ أسرع .. لابُدَّ أن نبادر بالهرب ، قبل أن يمتلئ المكان برجال الشُّرطة .

قفز الثالث إلى مقعد القيادة ، وأدار محرِّك اللُّورى ، على حين صرخ به الأوَّل فى صرامة :

ــ انتظر .. سنحاول أن نحصل على بضع قطع على الأقل .

صرخ الثالث فى توتُّر بالغ :

ــ افعل أنت .. لست مستعدًا لقضاء ما تبقَّى من عمرى خلف القُضبان .

أسرع الثانى يقفز إلى اللُّورى ، على حين صرخ الأوَّل فى غضب :

ــ أيها الجبناء .

صاح الثالث فى عصبيَّة بالغة ، وعيناه تُتابعان فى رُعْب نوافذ مبانى المنطقة ، وهى تضاء ، وتُفتَح ، ويطلّ منها أصحابها فى ذُعْر ، بعد أن حطَّم صوت الإنذار العنيف هدوء المكان :

ــ انتظر أنت لو أردت . أمَّا نحن فسنمضى بأقصى سرعة ممكنة .

قال هذا وقرن القَوْل بالفعل ، فانطلق بسيَّارته ، متجاهلًا صرخة الأوَّل الغاضبة :

ــ أيُّها الخَوَنة ..

كان الثالث ينوى أن يفرَّ بسيَّارته ، متجاهلًا الأوَّل ، ولكنه لم يكد يبتعِد بضعة أمتار ، حتى اختلط دَوِىّ صَفَّارة الإنذار بصوت أبواق سيَّارات الشرطة ، التى تندفع نحو

المكان ، وقبل أن يتخذ الثالث أى إجراء إزاء ذلك ، برزت من المنحنى المقابل له تمامًا واحدة من سيَّارات الشرطة ، واندفعت نحوه فى صرامة ، فضغط كمَّاحة سيارته فى قوَّة ، ونقل ذراع السرعة إلى الخلف ، وهو يهتف بالثانى :

ــ يا إلهى !!.. لقد وقعنا .

صاح به الثانى ، وهو ينتزع مسدَّسه فى توتُّر بالغ :

ــ لا تتوقَّف .. انطلِق .. انطلِق .

عاد الثالث بسيَّارته إلى الخلف فى سرعة ومهارة ، ودار بها فى منحنًى قريبٍ ، ثم عاد ينقل ذراع السرعة إلى الأمام ويندفع هاربًا من سيَّارة الشرطة ، التى اندفعت تطارده فى إصرار ، على حين برزت أخرى ، اتجهت نحو الأوَّل ، الذى جحظت عيناه رعبًا ، وبدا كفأر فى مصيدة مُحْكَمة ، فأخرج مسدَّسه ، وراح يطلق النار على سيَّارة الشرطة الثانية فى جُنُون ..

ولم يكن هناك من مَفَرّ ، أمام رجال الشرطة فى السيَّارة الثانية ، سوى أن يتبادلوا إطلاق النار معه ، وعلى الرغم من محاولاتهم لإصابته ، دون القضاء عليه ، فقد استمرَّ هو يطلق رصاصاته عليهم ، وهو يصرخ فى جُنُون :

ــ لن تقبضوا علىَّ .. لن أستسلم أبدًا ..

ولا ريبَ أن سكَّان المنطقة لن ينسَوْا أبدًا ذلك المزيج الرهيب ، من صوت صَفَّارة الإنذار القـــوىّ ، ودَوِىّ رصاصات رجال الشرطة واللص ، وتلك الصرخة المخيفة ، التى انطلقت من بين شفتيه ، حينما أصابته إحدى رصاصات الشرطة فى مقتل ، فجحظت عيناه ، وأطلق رصاصة أخيرة ، ثم هَوَى جُثَّة هامِدَة ..

أمَّا اللُّورى ، فقد واصلت سيَّارة الشرطة الأولى مطاردته فى إصرار ، وانضمَّت إليها سيارة أخرى ، عندما انتقلت المطاردة إلى كورنيش النيل ، وبلغ ارتياع اللِّصَيْن : الثانى والثالث ذِرْوَته ، فراح أحدهما يطلق النار على سيَّارتى الشرطة ، على حين أطلق الآخر العِنَان للُّورى ، فانطلق بسرعة أنَّى لها محرِّكه ، ولكنَّ سيَّارتى الشرطة راوغتا الرصاصات فى براعة ، وبخلاف سائقيهما ، أجاب الآخرون رصاصات اللصِّ بالمثل ..

وفجأة ، أصابت إحدى رصاصات رجال الشرطة إطار اللُّورى الأمامىّ ، وهو ينطلق بهذه السرعة الفائقة فاختلَّ توازنه ، وانحرف فى حِدَّة ، وارتطم بسور الكورنيش ، وتحطَّمت مقدِّمته ، ثم انقلب رأسًا على عَقِب ، وهَوَى فى النيل ..

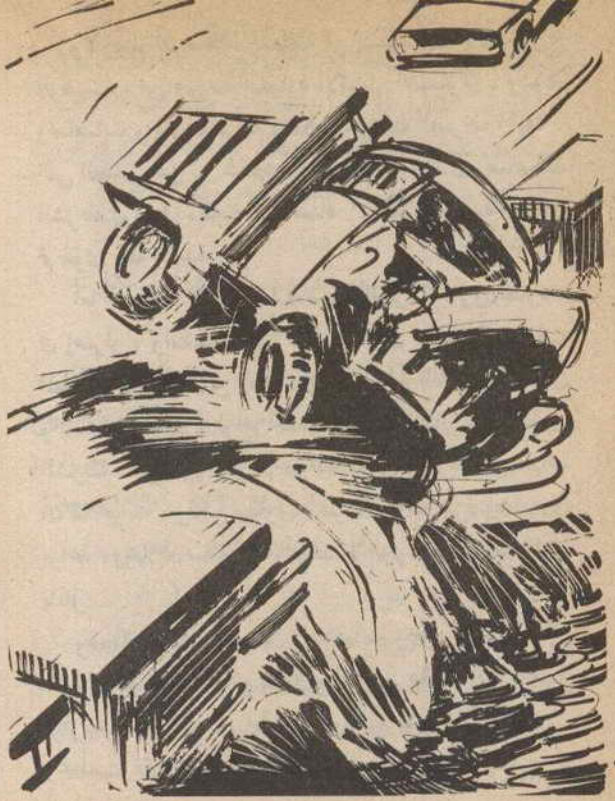

فاختلَّ توازنه ، وانحرف فى حِدَّة ، وارتطم بسور الكورنيش ، وتحطَّمت مقدِّمته

وتوقَّفت سيارتا الشرطة ، وقفز منهما الرجال ، وصاح أحد ضباط الشرطة فى صرامة :

ــ حاولوا إنقاذ ركَّاب اللُّورى .. بسرعة .

ثم أردف وهو يعقد حاجبيه فى حزم :

ــ إن أحدهما قد يكون فرصتنا الأخيرة ؛ لإنهاء لُعبة أسلحة الدَّمار ..

* * *

كان الصحفىّ (عصام كامل) واضح الانفعال ، وهو يَعْبُر باب مكتب العقيد (خيرى) ، فى السادسة والنصف صباحًا ، هاتفًا :

ــ هل ألقيم القبض على بعضهم ؟

أشار إليه العقيد (خيرى) بالجلوس ، وهو يقول فى هدوء :

ــ واحد فقط للأسف يا (عصام) ، فقد لقِىَ الثانى مصرعه ، فَوْرَ سُقوط اللُّورى فى النيل .

جلس (عصام) ، وهو يسأله فى انفعال :

ــ وهل اعترف ؟

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه نفيًا فى أسف ، وهو يقول :

ـ إن حالته لا تسمح بعدُ بالكلام ؛ فهو مصاب برأسه إصابة خطيرة ، ولم يُفِق من غَيْبوبته بعدُ .

تنهَّد (عصام) فى أسف ، وقال :

ـ لقد هُرِعْتُ إلى هنا ، فَوْرَ معرفتى بالحادث ، وقد تصوَّرت أنها بداية النهاية لسلسلة سرقات متاجر الأسلحة ، طوال الشهرين الماضيين .

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وهو يقول :

ـ كنت أتمنَّى ذلك أيضًا يا (عصام) .

وزفر فى عمق ، قبل أن يميل نحوه ، مُرْدِفًا فى اهتمام :

ـ أنت تعلم أن سرقات متاجر الأسلحة قد بدأت منذ شهرين ، بسرقة أكثر من مائة مسدَّس ، ومائتى بندقية ، وما يزيد على ثلاثة آلاف رصاصة ، من أعيرة مختلفة ، من متاجر (نسيم) للأسلحة ، وبعدها توالت السرقات فى سرعة عجيبة ، وبنَسَق واحد تقريبًا ، مما أثار قلقًا رهيبًا فى كل الأوساط الأمنيَّة ، دفعنا إلى إجبار كل متاجر الأسلحة إلى تزويد أبوابها ونوافذها بأجهزة إنذار خاصَّة ، تتصل مباشرةً بأقسام الشرطة .

غمغم (عصام) فى اهتمام :

ـ هكذا أوقعتم بهذا الرجل ، وأحبطتم تلك المحاولة الأخيرة .

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، واستطرد :

ـ كنا نأمل أن نُوقع بالرأس المدبِّر ، لكل هذه الحوادث ، فهناك شخص ما ، تنظيم ما ، يسعى للحصول على أكبر قَدْر من الأسلحة والذخائر ؛ لسبب مجهول ، ولكنه يتعارض بالضرورة مع أمن الدولة والمواطنين .

سأله (عصام) فى لهفة :

ـ هل تظن أن اعتراف ذلك الرجل ، يمكنه أن يقود إلى بداية الخيط ؟

هزَّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وهو يقول :

ـ أو نهايته .. فهذه أوَّل مرَّة نُوقع فيها بأحد المشاركين فى تلك الحوادث ، والله (سبحانه وتعالى) وحْدَهُ يعلم ، إلى أين يمكن أن يقودنا ذلك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتفه ، فاختطف سمَّاعته ، وهو يقول :

ـ العقيد (خيرى) .. من المتحدِّث ؟

انعقد حاجباه فى اهتمام ، وهو يستمع إلى محدِّثه ، ثم لم يلبث أن قال فى لهفة :

ـ سنصل على الفور .

ووضع السمَّاعة ، وهو ينهض فى عَجَلة ، فهبَّ (عصام) من مقعده ، وهو يسأله فى شَغَف :

ـ هل من جديد ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى حَسْم :

ـ لقد استعاد الرجل وعْيَه .

ثم أردف ، وهو يسرع نحو باب مكتبه :

ـ الآن فقط تبدأ العملية الحقيقية .. عملية البحث عمَّن وراء خُطَّة جمع أسلحة الدَّمار .

* * *

٢ ـ الجريمة ..

كان المشهد يثير الشفقة بالفعل ..

هذا ما حدَّث به (عصام) نفسه ، وهو يتطلَّع إلى لصّ الأسلحة ، الذى رقد فى فراش صغير ، فى حجرة العناية المركَّزة بالمستشفى ، وقد غاصت فى أوردته إبر المحاليل الطبِّية ، واستقرَّ فوق أنفه وفمه قناع أكسوجين ، وبدا الضعف والإرهاق واضحين على وجهه الشاحب ، وهو يتطلَّع إلى الحاضرين ، بعينين نصف مغلقتين ، فى ذُعْر واضح ..

وفى هدوء ، سأل العقيد (خيرى) اللِّص :

ـ من أرسلكم لسرقة متجر الأسلحة ؟

تردَّد اللِّص لحظات ، ثم غمغم فى خوف واضح :

ـ إننى لا أعلم شيئًا .

عاد العقيد (خيرى) يسأله فى صرامة :

ـ لحساب مَنْ تعمل ؟

غمغم اللِّص فى ضعف وتخاذُل :

— لست أدرى .. لست أعلم شيئًا .

بدا الغضب على وجه العقيد (خيرى) ، واكتسى صوته بنَبْرة تجمع ما بين الغضب والصَّرامة ، وهو يقول :

— من طلب منك الإقدام على هذه السرقة إذن ؟

تطلَّع اللِّص إلى وجهى (عصام) والعقيد (خيرى) فى هَلَع ، وهو يجيب :

— (أمجد) .. (أمجد) هو الذى يعرف كل شىء .

سأله العقيد (خيرى) فى اهتمام :

— مَنْ (أمجد) هذا ؟

غمغم الرجل فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

— لقد تركناه أمام متجر الأسلحة .. إنه الوحيد الذى يعلم كل شىء .

شعر العقيد (خيرى) بالضِّيق ؛ لأن (أمجد) هذا كان هو الشاب ، الذى لقى مصرعه برصاصات الشرطة أمام المتجر ، وعاد يسأل اللِّص :

— إلى أين كنتم ستذهبون بالأسلحة إذن ؟

غمغم الرجل :

— إلى (أسيوط) .

هتف به العقيد (خيرى) :

— من كان سيتسلّمها فى (أسيوط) ؟

خفت صوت اللِّص ، وبدا أقرب إلى البكاء ، وهو يتمتم :

— لست أدرى .. (أمجد) وحده كان يعرف التفاصيل .

صاح العقيد (خيرى) فى غضب :

— هل كان (أمجد) هذا كتُومًا إلى ذلك الحدّ ؟

قبل أن يجيب اللِّص على هذا السؤال ، انبعث من خلف (عصام) والعقيد (خيرى) صوت هادئ ، يقول :

— إنك ترهقه كثيرًا يا سيادة العقيد .

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت ، فطالعهما وجه رجل حليق ، فى أواخر الثلاثينات من عمره ، يرتدى معطف الأطباء الأبيض ، وتتدلَّى من عنقه سمَّاعة طبِّية ، ويمسك بيده محقنًا ، وهو يستطرد فى هدوء :

— لا تنس أنه رجل مريض .

أشار العقيد (خيرى) إلى اللِّص ، وهو يقول فى حَنَق :

— ولكن المعلومات التى يحملها قد تنقذ أرواح الكثيرين .

هزَّ الطبيب رأسه نفيًا ، واتجه نحو وعاء (الجلوكوز) ، المعلَّق إلى جوار اللِّص ، والذى يتَّصِل بأوردته عن طريق أنبوب رفيع ، وهو يقول :

ـ هذا لا يبرّر أن تقتله بأسئلتك .

ثم غرس إبرة المِخقَن فى غِطاء وعاء (الجلوكوز) ، ودفع المادّة التى كان يحويها المِخقَن ، لتمتزج بالمحلول الطبّىّ ، على حين هتف العقيد (خيرى) :

ـ لقد قُلتم إن حالته تسمح باستجوابه .

عقد الطبيب حاجبيه فى صرامة ، وهو ينتزع إبرة المِخقَن من الوعاء ، ويقول فى حزم :

ـ إلى الحدّ المعقول .

قال العقيد (خيرى) فى إصرار :

ـ فلتعلم إذن أننى لن أغادر هذه الحجرة ، قبل أن أحصل منه على ما أريد .

كان (عصام) يتوقّع أن يثور الطبيب ، ويصرّ على منع العقيد (خيرى) من استجواب الرجل ؛ لذا فقد أدهشه أن يتسم الطبيب فى هدوء ، ويهزّ كتفيه على نحو يُوحِى باللامبالاة ، وهو يقول :

ـ سيكون عليك أن تتحمّل المسئولية الكاملة فى هذه الحالة .

ثم انصرف فى هدوء ، وكأنّما الأمر لا يعنيه ، مما ضاعف من دهشة (عصام) ، وهو يغمغم :

ـ تصرُّف متناقض عجيب .

لم يلق العقيد (خيرى) بالًا لتعليق (عصام) ، وهو يعود ليسأل اللّص فى صرامة :

ـ ألَمْ يقُل (أمجد) شيئًا ؟.. ألَمْ يشِر إلى شخصية الزعيم ؟

تردَّد اللّص لحظات ، ثم أجاب فى خُفُوت :

ـ بَلَى .. أظن ذلك .

سأله العقيد (خيرى) فى لهفة :

ـ ما الذى تظن أنه قاله ؟

بدأ جسد اللّص يرتجف ، وهو يقول :

ـ لقد أبديت تخوُّفى من هذه العملية ؛ لخطورتها البالغة ، فطمأننى (أمجد) ، وهو يقول : إن الزعيم ، الذى يدبّر لكل ذلك ، من خبراء الأسلحة ، وإنه واسع الثراء والنفوذ فى (أسيوط) ، وإن نفوذه يمتد إلى .....

بتر اللّص عبارته بغتة ، وجحظت عيناه فى رُعْب ، وتحوَّلت ارتجافته إلى انتفاضة قويّة ، قبل أن يهتف فى صوت مختنق ، امتلأ كل حرف فيه بفَزَع رَهيب :

ـ اللّعنة !!.. إننى أحتضر .. لقد قتلونى .. قتلونى ..

اتسعت عينا (عصام) فى ذُعر ، فى حين هتف العقيد (خيرى) فى توتُّر :

ــ ماذا تُغنى بالله عليك ؟.. ماذا تُغنى ؟

تشبَّث اللِّص بستْرة العقيد (خيرى) فى قوَّة ، وهو يئنّ فى ألم هائل ، وجحظت عيناه على نحو مخيف ، ثم أطلق شهقة قويَّة ، وتحجَّرت عيناه ، ثم تراخى جسده دفعة واحدة ، فهتف (عصام) فى صوت مُختنِق :

ــ مَاذا ؟.. ماذا أصابه ؟

انحنى العقيد (خيرى) ؛ ليلصق أذنه بموضع قلب اللِّص ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول فى شُحوب :

ــ لقد .. لقد مات .

تراجع (عصام) فى ذُعر ، ثم برقت عيناه بغتة ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!.. إنه ذلك الطبيب .

واندفع فجأة خارج حجرة العناية المركَّزة ..

* * *

انتفضت ممرِّضة حجرة العناية المركَّزة فى ذُعر ، حينما اندفع نحوها (عصام) ، وهو يسألها فى غضب :

ــ مَنْ ذلك الطبيب ، الذى عاد المريض منذ لحظات ؟

أجابته الممرِّضة فى خَوْف :

ــ لست أدرى يا سيِّدى .. إنه يتبع جهاز الشرطة .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ جهاز الشرطة ؟!

أجابته فى ذُعر وارتياع :

ــ هذا ما قاله .. إنه ليس أحد أطبائنا .

صاح (عصام) فى هَلَع :

ــ يا إلهى !!.. وأين ذهب ؟

أشارت إلى الخارج ، وهى تقول فى ذُعر :

ــ لقد انصرف .. لست أدرى إلى أين ، ولكنه .....

لم ينتظر (عصام) حتى تتمّ عبارتها ، وإنما انطلق كالصاروخ خلف الطبيب الزائف ، وعَبَرَ ممرَّات المستشفى عَدْوًا ، على نحو أثار دهشة وذُعر الجميع ، حتى وصل إلى البـاب الخارجىّ ، فى نفس اللحظة التى همَّ فيها الطبيب المزيَّف بركوب سيارة أنيقة ، بعد أن تخلَّى عن معطف الأطباء ، والسمَّاعة الطبِّية ، فاندفع نحوه (عصام) ، وهو يهتف :

ــ أيُّها المجرم .. لقد قتلته .

ثم طوَّح قبضته ، محاولًا لكْم الرجل فى فكِّه ، إلَّا أن الرجل

تفادى اللّكمة فى براعة ، ولكمَ (عصام) فى معدته بقوّة ، فتأوّه هذا الأخير فى ألم ، وانثنى إلى الأمام من قوّة الضّربة ، ولكن هذا جعله يتشبّث بالرجل ، وهو يصرخ :

ــ أيُها القاتل .. أيُها الحقير .

وبكل ما يملك من قوّة ، لكَمَ الرجل (عصام) فى فكّه ، وهو يهتف :

ــ ابتعد عنّى .

إلا أن (عصام) لم يبتعد ، وإنما تحمّل اللّكمة ، وهو يزداد تشبُّثًا بالرجل ، الذى صرخ فى غضب :

ــ حسنًا .. أنت أردت ذلك .

وفى حركة سريعة غاضبة ، استلّ من جيب سترته خنجرًا ماضيًا ، وهَوَى بنصله على عنق (عصام) ..

* * *

إلا أن (عصام) لم يبتعد ، وإنما تحمّل اللّكمة ، وهو يزداد تشبثًا بالرجل

٣ ــ طريق الدَّم ..

لم يكن (عصام) ينوى أبدًا التخلّى عن ذلك الطبيب الزّائف ..

كان التشبُّث به يشبه ــ فى نظره ــ التشبُّث بآخر طوق نجاة ، فى بحر متلاطم الأمواج ، وسط ظلام دامس ، ودوّامات تجذب غريقًا فى إصرار إلى الأعماق ..

كان يريد أن يطفُوَ على سطح الحقيقة ، ويلتقط طرف خيط جديد ، بعد أن فقد ــ على التوّ ــ طرَفًا راح ضحية جريمة قتل غادرة ..

ولكن لحظة هبوط الخنجر الحادّ نحو عنقه ، قلبت فى ذهنه كل الموازين ..

لقد أصبح الأكثر أهمية ــ بالنسبة إليه ــ دون حتى أن يبحث الأمر ، هو أن ينقذ روحه أوّلًا ..

لم يكن هذا قرار عقله ، وإنما كان قرارًا نابعًا من غريزة قويّة ، فى أعماق كل كائن حىّ ..

غريزة البقاء ..

وفى سرعة ، تخلّى (عصام) عن تشبُّثه بالرجل ، ورفع ساعده ، ليصدّ به معصم خصمه ، قبل أن ينغرس الخنجر فى عنقه ، ثم أمسك المعصم بقبضته فى قوّة ، ودفع قبضته الثانية إلى معدة الرجل ، الذى تأوّه ، وأطلق سبابًا أشبه ببصقة اشمئزاز ، ثم تحوّل فجأة إلى مجنون ثائر ، حينما وقع بصره على العقيد (خيرى) ، ورجلى الشرطة المصاحبين له ، الذين برزوا فجأة عند باب المستشفى ، واندفعوا نحوه ؛ لإنهاء الصراع لصالحهم ، فراح يلكم (عصام) فى أى مكان تصل قبضته إليه ، وهو يصرخ :

ــ ابتَعِد .. قُلت لك ابتَعِد ..

وبدفعة قويّة أخيرة ، ركل (عصام) بعيدًا ، ثم انطلق يعدُو مجتازًا الطريق ، وقد أدرك أن محاولته إدارة محرّك سيارته ، والفرار بها ، لن يفلح بالسرعة اللازمة للهَرَب ..

وصاح العقيد (خيرى) فى صرامة ، وهو يصوّب مسدّسه إلى الهارب :

ــ قِف أو أطلق النار .

ولكن الرجل لم يتوقّف ، بل زاد من سرعة عَدْوه ، وهو ينحرف عند أوّل مُنْحَنَى ..

وفجأة، حدث كل شيء فى سرعة ..

صوت صرير إطارات سيارة ، يحاول صاحبها إيقافها فجأة ، وصرخة ذُعر وألم ، ثم ارتطام قوىّ ..

وحينما وصل العقيد (خيرى) ، ورجـلا الشرطـة ، و (عصام) إلى مكان الحادث ، كان الطبيب الزائف يرقد تحت إطارات السيَّارة ، جاحظ العينين ، تسيل الدماء من فمه وأنفه فى غزارة ، وقائد السيارة شاحب الوجه ، يهتف فى ذُعر :

ــ لقد ظهر أمامى فجأة .. أُقسم إنه المسئول .. لم أستطع تفاديه فى الوقت المناسب ..

ولم يكن كل هذا ليجدى ، فقد لَقِىَ الطبيب الزائف مصرعه ، وانقطع الخيط ..

الخيط ، الذى كان يمكن أن يقود إلى الزعيم ..

زعيم لُعبة أسلحة الدَّمار ..

* * *

« كلَّا .. لم ينقطع الخيط تمامًا .. » ..

قال (عماد) هذه العبارة فى هدوء ، بعد أن استمع مع (عُلا) إلى القصة ، من بين شفتى (عصام) ، الذى مطَّ شفتيه ، وهو يقول :

ــ أعلم ذلك .. إنك تقصد ما أخبرنا به ذلك اللِّص ــ قبيل مَصْرَعه ــ من أن الزعيم يُقيم فى (أسيوط) .. أليس كذلك ؟

أجابته (عُلا) فى شغف :

ــ بلَى .. إن هذه المعلومة تختصر مجال البحث كثيرا بالتأكيد ، فسيقتصر البحث فى (أسيوط) ، وليس فى (مصر) كلِّها .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ وهل تتصوَّران ذلك أمرًا هيِّنًا ؟.. إن (أسيوط) مدينة كبيرة ، يبلغ تَعْداد سكَّانها .....

قاطعه (عماد) فى هدوء :

ــ إنك لن تحتاج للبحث عن كل رجل يُقيم فى (أسيوط) يا أستاذ (عصام) ، فلقد حدَّد اللِّص شخصية الزعيم تقريبًا ، فبالإضافة إلى أنه يُقيم فى (أسيوط) ، فهو أيضًا خبير بالأسلحة ، وصاحب سَطْوة ونُفوذ .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ ولكن إجادة استخدام الأسلحة الناريَّة أمر شائع ، فى كل مدن وقرى الصعيد تقريبًا .

هزَّت (عُلا) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ إنه لم يقُل إن الزعيم يجيد استخدام السلاح فحسب ، وإنما قال : إنه خبير أسلحة ، وهذا ينطبق بالضرورة على تجَّار الأسلحة بوجه عام .

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ هل تظنَّان ذلك ؟

أجابه (عماد) فى حماس :

ــ بالتأكيد .. إننا نحتاج للبحث عن تاجر أسلحة فى (أسيوط) ، يمتلك بعض النُّفوذ والسَّطْوَة .

تمتم (عصام) :

ــ هذا يتوقَّف على نوع السَّطْوَة والنُّفوذ .

هزَّت (عُلا) كتفيها الصغيرتين ، وهى تقول :

ــ قد يكون أحد كبار الأثرياء ، أو رجال القانون ، أو السياسيِّين .

مطَّ (عصام) شفتيه ، وهو يتمتم فى توتُّر :

ــ هذا يَعْنِى أن نخوض بحرًا متلاطم الأمواج .

هزَّ (عماد) كتفيه هذه المرَّة ، وهو يقول :

ــ ومتى لم نفعل ؟

راقت عبارته لـ (عصام) ، وأيقظت حماسه ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة ثقة ونَشْوة ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. متى لم نفعل ؟

ثم نهض ، وهو يقول فى انفعال :

ــ من حُسْن الحظ أن إجازتكما قد بدأت ، فسأطالبكما بالبقاء إلى جوار الهاتف طِيلة الوقت .

سألته (عُلا) فى شغف :

ــ وماذا ستفعل أنت ؟

تألَّقت عيناه ، وهو يقول فى حزم :

ــ سأسافر إلى (أسيوط) .

وازداد تألُّق عينيه ، حتى كاد ينعكس على وجهيهما ، وهو يستطرد :

ــ سأقتحم مملكة أسلحة الدَّمار .. سأخوض طريق الدَّم .

* * *

٤ ــ فى كل خطوة .. رصاصة ..

لم يكن فصل الصيف قد بدأ جغرافيًا ، حسبما تمَّ تصنيف فصول السنة ، إلَّا أن درجة حرارة الجوّ فى (أسيوط) ، بدت لـ (عصام) أشبه بدرجة حرارة فرن مشتعل ، وهو يهبط من القطار فى محطَّتها ، فراح يجفِّف عرقه الغزير بمنديله ، الذى استحال ، مع ذلك المزيج من العرق والأتربة إلى قطعة من القماش المبتلّ القذر ، وزفر (عصام) فى ضيق ، وهو يستقلّ إحدى سيارات الأجرة إلى مبنى محافظة (أسيوط) ، حيث التقى هناك بمدير العلاقات العامَّة ، الذى استقبله هاتفًا فى ترْحاب :

ــ مرحبًا يا أستاذ (عصام) .. كم تُسعدنى مقابلتك .. إننى أتابع كل تحقيقاتك فى اهتمام بالغ ..

غمغم (عصام) :

ــ شكرًا لك .. كنت أريد أن .....

قاطعه مدير العلاقات العامَّة ، وهو يستطرد فى حماس :

ــ تحقيقك الأخير كان رائعًا .. حتى السيِّد المحافظ أبدى إعجابه الشديد به ، و .....

قاطعه (عصام) هذه المرَّة ، وهو يقول فى سرعة ، خشية أن يقاطعه الرجل مرَّة أخرى :

ــ هذا يُسعدنى ، هل أطمع فى تعاونكم إذن ؟

هتف الرجل فى حماس :

ــ بالطبع .. مُرْ بما تريد يا أستاذ (عصام) .

مال (عصام) نحوه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ هل لديكم هنا سجلَّات لتجَّار الأسلحة فى (أسيوط) ؟

عقد الرجل حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يسأله فى قَلَق :

ــ تجَّار الأسلحة ؟!.. أهو تحقيق جديد ؟

رسم (عصام) على شفتيه ابتسامة وديعة هادئة ، وهو يجيب فى براءة مصطنعة :

ــ نعم .. ولكنه ليس تحقيقًا بوليسيًّا .

تراجع الرجل بظهره ، واستند إلى مقعده ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يتطلَّع إلى (عصام) فى صمت مشُوب بالريبة ، فأسرع هذا الأخير يستدرك :

ـ ليست كل تحقيقاتى بوليسية .. أليس كذلك ؟

ظلَّ الرجل صامتًا ، يتأمَّله لحظات ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة ، وهو يقول :

ـ بالطبع .

ثم اعتدل مستطردًا فى هدوء :

ـ وعمومًا ، فالأمر لا يحتاج إلى سجلَّات ، فكل ما لدينا هنا هو ثلاثة متاجر لبيع الأسلحة فحسب : أحدهما يملكه (سليمان مندور) ، الثرى المعروف ، وعضو المجلس المحلّى للمدينة ، والثانى يملكه (إبراهيم صموائيل) ، صاحب محلَّات (صموائيل) للذهب والمصوغات .

توقَّف مدير العلاقات العامَّة لحظة ، فسأله (عصام) فى شغف :

ـ ومن يملك الثالث ؟

عقد الرجل حاجبيه ، ومطَّ شفتيه فى ضيق ، وهو يجيب :

ـ (فؤاد حمُّودة) .

انزوى ما بين حاجبى (عصام) ، وهو يحدِّق فى الهرم الخشبىّ ، الذى يستقرّ فوق مكتب مدير العلاقات العامَّة ، والذى يحمل اسمه ووظيفته ، فى حين استطرد الرجل فى حِدَّة :

ـ نعم .. إنه أنا .

* * *

كان (سليمان مندور) رجلًا وقورًا ، فى منتصف الخمسينات من عمره ، ولقد استقبل (عصام) فى قيلَّته الكائنة فى أطراف مدينة (أسيوط) ، باحترام وترحاب ، وقاده إلى حجرة الجلوس الفاخرة ، وهو يبتسم قائلًا فى هدوء :

ـ إنها مفاجأة طريفة ولا شكَّ يا أستاذ (عصام) ، فلقد قرأت بعض تحقيقاتك المثيرة ، وأصارحك القول أنها قد راقت لى جدًّا ، ولم أتوقَّع أن نلتقى يومًا .

استقرّ (عصام) فوق مقعد وثير ، وهو يقول :

ـ إنها دواعى العمل يا سيِّد (سليمان) ، فنحن نعدّ تحقيقًا عن تجارة الأسلحة فى (مصر) ، ومن الضرورىّ أن نلتقى بأشهر العاملين فى هذا المجال .

ابتسم (سليمان) ، وهو يقول :

ـ أشهر العاملين ؟!.. إنه إطراء طريف حقًّا يا أستاذ (عصام) .

هتف (عصام) فى حماس متعمَّد :

ـ بل هى الحقيقة يا سيِّد (سليمان) .

خُيِّل إليه أن ابتسامة (سليمان) قد شابها بعض السخرية ، وهو يغمغم :

ـ شكرًا لك .

ثم اعتدل فى مجلسه بوقار ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ وما الذى تريد معرفته بالضبط يا أستاذ (عصام) ؟

ازدرد (عصام) لُعابه ، قبل أن يسأله فى شَغَف :

ـ كيف يتمّ التعامل فى تجارتك ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، وهو يقول :

ـ كما يتم فى أيّة تجارة أخرى ، باستثناء حساسية السلعة التى نبيعها ، وخطورتها ، فبضائعنا تحتاج إلى تصريح خاصّ لحملها وحيازتها واستخدامها ، وكل من يرغب فى اقتناء سلاح ناريّ ، سواء كان مسدَّسًا ، أو بندقية ، أو بندقية صيد ، لابدَّ له من أن يحوز ذلك التصريح أوَّلًا ، باستثناء أسلحة ضغط الهواء .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ ألا يمكن التلاعب بذلك ؟

ابتسم الرجل فى دهاء ، وهو يقول :

ـ مستحيل .. فكل سلاح يحمل رقمًا خاصًّا ، ونحن نستخرج لمن يبتاعه إيصالًا ، يحمل رقم السلاح ، ونوعه ، وطرازه ، ورقم ترخيصه الخاصّ ، وجهاز الشرطة يحصل على تلك البيانات أوَّلًا فأوَّلًا ، ويحصل أيضًا على رصاصة من

رصاصات السلاح ، يتمّ إطلاقها منه ، وتحريزها ؛ لتحمل كل البيانات عنه وعن صاحبه .

قال (عصام) فى دهاء مماثل :

ـ وماذا لو أنك لم تستخرج ذلك الإيصال ، ولم ترسل بياناته للشرطة ؟

اتسعت ابتسامة (سليمان) ، وحملت الكثير من السخرية ، وهو يقول :

ـ مستحيل أيضًا ، فكل ما أحصل عليه من أسلحة مسجَّل لدى الشرطة ، وهم يقومون بحملات تفتيش ومراجعة دَوْرِيَّة ، للتأكُّد من أن كل سلاح أملكه مسجَّل لديهم ، ولو تمَّ العثور على قطعة سلاح واحدة غير مسجَّلة ، فهذا يعدُّ جريمة ، يتمّ بسببها سحب ترخيص العمل الخاصّ بى ، وأعاقب بالسجن والغرامة .

هتف (عصام) فى حَيْرة :

ـ ولكن بعض المجرمين يحملون أحيانًا أسلحة غير مرخَّصة ، أو مدوَّنة .

أومأ (سليمان) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ إنهم لا يحصلون عليها بالطريق الرسمىّ .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى بطء :

ــ كأن تكون مهرَّبة مثلًا .. أو مسروقة ؟

أومأ (سليمان) برأسه مرَّة أخرى ، وهو يقول فى هدوء :

ــ تمامًا .

ران الصمت لحظة ، قبل أن يستطرد (سليمان) فى مزيج من الحُبْث والسخرية :

ــ مثل الأسلحة التى سُرِقَتْ من متاجر الأسلحة فى (القاهرة) .

حدَّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، فقهقه الرجل ضاحكًا فى سخرية ، قبل أن يُرْدِف :

ــ صحيح أنَّ الخبر لم ينشر بالصحف بعدُ ، ولكننا أبناء تجارة واحدة .. أليس كذلك ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ بلَى .. ربَّما .. هذا أمر طبيعىّ .

ولكن غريزته أنبأته أنه ليس أمرًا طبيعيًّا ..

ليس كذلك بالتأكيد ..

* * *

كان (إبراهيم صموائيل) ، على عكس (سليمان) ، شابًّا فى أوائل الثلاثينات من عمره ، ولقد أدهش ذلك (عصام)

حدَّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، فقهقه الرجل ضاحكًا فى سخرية

كثيرًا ، فضحك (إبراهيم) ، وهو يقول :

ـ ليس من الضرورىّ أن يكون تاجر الأسلحة مسنًّا يا أستاذ (عصام) ، فالأستاذ (فؤاد) لم يتجاوز الأربعين من عمره بعد ، وهو أكبر تاجر أسلحة هنا ، على الرغم من أن (سليمان) هو أكبر عمرًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله فى حَيْرة :

ـ كيف يتأتَّى ذلك برأيك ؟

هزَّ كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـ لقد ورث تجارته عن والده .

رفع (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ عجبًا !!.. كيف لم يخطر هذا الاحتمال ببالى ؟

ضحك (إبراهيم) ، وهو يقول :

ـ كثيرًا ما تغيب عنّا أبسط الأمور .

هزَّ (عصام) رأسه موافقًا ، وهو يتمتم :

ـ هذا صحيح .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ هل ورثت تجارتك أيضًا ؟

هزَّ (ابراهيم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ بل لقد أنشأتها .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ لقد ورثت عن والدى تجارة الذَّهب فحسب ، ولكننى أهْوَى الأسلحة الناريَّة منذ الصِّغر ، ولقد رأيت أن أقتحم تجارتها أيضًا .

قال (عصام) فى شَغَفٍ :

ـ لا ريبَ أن هذا قد أثار حَنَق (سليمان) و (فؤاد) .

ابتسم (إبراهيم) ، وهو يقول :

ـ على العكس .. لقد أيَّدا الفكرة ، وعاوناني بخبرتهما واتصالاتهما على إنشاء متجرى .

سأله (عصام) بغتة :

ـ هل سمعت عن حوادث سرقة متاجر الأسلحة فى (القاهرة)؟

رفع (إبراهيم) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ سرقة متاجر الأسلحة ؟!.. كلَّا .. إننى لم أسمع بها إلَّا منك ، متى وكيف حدث ذلك ؟

لم يجب (عصام) عن سؤاله ، وإنما قال فى حَذَر :

ـ عجبًا !!.. لقد قال (سليمان) إن هذا لا يخفى ، على أبناء نفس المهنة .

أجابه (إبراهيم) فى جِدَّة :

ــ ربَّما ينطبق ذلك على التُّجَّار القُدامَى والمُخضْرَمين ، أمَّا أنا فمجرَّد تاجر جديد فى هذا المجال .

نهض (عصام) ، وهو يقول فى حزم :

ــ محتمل .. كل شىء محتمل .

عقد (إبراهيم) حاجبيه ، وهو يقول فى جِدَّة :

ــ إنك لم تُجِبْ عن أسئلتى بَعْدُ .

أجابه فى صرامة :

ــ لم يَحِن الوقت بعدُ يا سيِّد (إبراهيم) .. إن تحقيقى لم يكتمل .

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، حينما اتخذ (عصام) طريق العودة إلى فندقه ، بعد أن قضى المساء كله فى مراجعة سجلَّات تجَّار الأسلحة الثلاثة ، الذين يحتكرون تلك التجارة فى (أسيوط) ، والذين أثبتت سجلَّاتهم وملفَّاتهم حسن سيرهم وسلوكهم طوال عملهم ، وحتى هذه اللحظة ..

وبينما كان يقترب من فندقه ، كانت هناك سيَّارة صغيرة ، من طراز مصرىّ مألوف ، تقف على بُعْدِ أمتار من فندقه ، مطفأة الأنوار ، انتزع بعضهم لوحاتها المعدنية عمدًا ، وداخلها يجلس رجلان ، حملت ملامحهما سِمات الشرّ ، وكان أحدهما يفحص مسدَّسه للمرَّة العاشرة ، وهو يقول لزميله فى خشونة :

ــ أمِنَ الضرورىّ أن نقتل ذلك الصحفىّ الليلة ؟

أجابه زميله ، وهو يتطلَّع إلى الطريق فى اهتمام :

ــ بالتأكيد .. الزعيم يقول : إن تاريخه ، فى كشف الألغاز البوليسيَّة الغامضة ، مخيف ، وإنه يشكِّل خطورة بالغة على الأمر ، لو أصرَّ على دسّ أنفه فيه .

غمغم الأوَّل فى سخط :

ــ ولكن زعيمنا عبقرىّ ، ولن ينجح هذا التافه فى كشفه أبدًا .

زمجر الثانى ، وهو يقول فى جِدَّة :

ــ ليس هذا من شأننا .. أنت تعلم أن الزعيم بالغ الحِرْص والحَذَر ، وما دام يرى أنَّ هذا الشابَّ يشكِّل له خطورة بالغة ، فلن نناقش رأيه هذا .

ابتسم الأوَّل فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ولماذا تحتدّ هكذا ؟.. هل تظن أننى أرفض قتل ذلك الصحفىّ ؟

أجابه الثانى فى صرامة :

ــ هذا ما يُلوَح لى .

عاد الأوَّل يطلق ضحكته الساخرة ، وهو يقول :

ــ يا لَهُ من قول سخيف !.. أهذه أوَّل مرَّة أطلق فيها النَّار على رأس رجل .

مال الثانى برأسه إلى الأمام ، وتطلَّع فى اهتمام إلى (عصام) ، الذى لاح فى منعطف قريب ، وقال لزميله فى انفعال :

ــ حسنًا .. يمكنك أن تثبت صِحَّة قولك .. ها هو ذا الصحفىّ .

جذب الأوَّل إبرة مسدَّسه ، وصوَّبه إلى رأس (عصام) فى استخفاف ، وهو يقول :

ــ لا تتعجَّل يا رجل .. بعد لحظة واحدة ستقول : ها هى ذى جثة الصحفىّ .

ودون أن يتردَّد لحظة واحدة .. أطلق النار ..

* * *

٥ ــ مطاردة فى الليل ..

لم يكن (عصام) يدرى شيئًا عمَّا يُحاك ضِدَّه ، فقد كان يتجه إلى فندقه ، وذهنه منشغل بالبحث عن خيط يقوده إلى الزعيم ، وسط هذا الظلام الذى يكتنفه ..

وكان ذلك القاتل ، الذى يصوِّب إليه مسدَّسه ، محترفًا ، لم يخطئ إصابة هدفه أبدًا ، منذ سنوات خلت ..

وبحسبة رياضية بسيطة ، كان الموت حتمًا من نصيب (عصام) فى هذه الليلة ..

ولكن مهلًا ..

هناك عامل بالغ الأهمِّيَّة ، لم نضعه فى اعتبارنا ، ونحن نجرى تلك الحِسبة السابقة ..

العناية الإلٰهية ..

إنها تقلب كل الأمور والموازين رأسًا على عَقِب ..

ولقد جاءت هذه المرَّة على هيئة هِرَّة صغيرة ..

هِرَّة وقع عليها بصر (عصام) ، وهو يتجه إلى فندقه ، وهى تلعق فى نَهَم بعض قطرات الماء ، التى تجمَّعت فى فجوة صغيرة بجانب الإفريز ، فابتسم وهو ينحنى نحوها ، مغمغمًا :

لم يكد ينحنى حتى دوّى صوت الرصاصة ، وسمع (عصام) أزيزها ، وهى تمْرُق فوق رأسه

ـ أتشعرين بالعطش إلى هذا الحدّ يا قُطَيْطَتى ؟

لم يكد ينحنى حتى دوّى صوت الرصاصة ، وسمع (عصام) أزيزها ، وهى تمْرُق فوق رأسه ، قبل أن ترتطم بجدار البناية المجاورة له ، وتسقط تحت قدميه ساخنة ملتهبة ..

واعتدل (عصام) فى حركة حادَّة ، واتسعت عيناه فى ذُعْر ، وبلغ مسامعه صوت الرجل ، الذى أطلق عليه الرَّصاصة ، وهو يهتف فى سخط :

ـ اللَّعنة !! لقد انحنى فى اللحظة ذاتها .

ولم يكن (عصام) بحاجة إلى أكثر من هذا ؛ ليدرك دِقَّة مَوْقفه وخطورته ، فانطلق يَعْدُو بأقصى سرعة نحو فندقه ، فى نفس اللحظة التى أدار فيها الثانى محرِّك السيَّارة ، وهو يصرخ :

ـ لا تسمح له بالإفلات .. سيقتلنا الزعيم ، لو أننا تقاعسنا عن قتله .

أطلق الأوَّل رصاصة ثانية نحو (عصام) ، فى سُخْط بالغ ، ولكن سرعة ركض (عصام) جعلته يفلت من الرصاصة الثانية أيضًا ، التى طاشت فى الهواء ، على حين انطلق الثانى بالسيَّارة ، وهو يهتف فى غضب :

ـ لن نسمح له بالإفلات .

توقَّف (عصام) عن العَدْوِ ، حينما رأى السيَّارة تعترض طريقه إلى الفندق ، ثم دار على عَقِبَيْه ، وراح يَعْدُو فى الاتجاه المضادّ ، بكل ما يملك من قوَّة وسرعة ، وانطلقت سيَّارة المجرمين خلفه ، وقائدها يصرخ فى جُنُون :

ــ لقد أفلت من رصاصتين ، فَلْنَرَ كيف سيفلت من سيَّارة .

غمر ضوء السيَّارة (عصام) ، وهى تنطلق خلفه فى إصرار وشراسة ، وحاول هو أن يزيد من سرعة عَدْوِه ، إلَّا أن أنفاسه اللَّاهثة أنبأته بأنَّ هذا مستحيل ، بعد أن بلغ فى سرعته أقصى حدّ ممكن ، لجسده المُنهك ..

واقتربت منه السيَّارة فى سرعة ..

واقتربت .. واقتربت ..

وأطلق الأوَّل ضحكة شرِسة عصبيَّة ، وهو يصوِّب مسدَّسه مرَّة ثالثة إلى (عصام) ، قائلًا :

ــ لا يمكن أن أخطئه من هذه المسافة ..

ودوَّى صوت الرصاصة الثالثة ..

ولكنها فى هذه المرَّة أيضًا ، أخطأت (عصام) ..

لم تكن العناية الإلٰهية قد تخلَّت عنه بَعْدُ ..

لقد انحرف فى أوَّل منحنًى صادَفَه ، محاولًا الفرار من السيَّارة ، دون أن يدرك أن انحرافه المفاجئ قد أنقذه من رصاصة ثالثة أيضًا ..

وصرخ القاتل فى سخط ، وأطلق سِبابًا تِلْوَ الآخر ، على حين انحرف زميله بالسيَّارة خلف (عصام) ، وهو يهتف :

ــ يا لَهُ من ثعلب !.. يا لَه من ثعلب ماكر !!

وفجأة ، دَوَّى صوْت أبواق سيَّارات الشُّرطة ، التى التقط رجالها دَوِىَّ الرصاصات ، فهُرِعوا يستطلعون الأمر ، فصرخ الثانى فى ذُعْر وتوتُّر :

ــ يا إلٰهى !!.. الشُّرطة !

صاح به الأوَّل فى غضب ، وهو يصوِّب مسدَّسه إلى (عصام) مرَّة رابعة :

ــ سأطلق عليه رصاصة أخيرة .

هتف الثانى فى حَنَق ، وهو يدور بسيَّارته فى أوَّل منعطف :

ــ فليذهب الصحفىّ إلى الجحيم .. إننى لن أُوقع بنفسى فى أيدى الشُّرطة ، من أجل صحفىّ تافه ، يستحق الـ.....

بتر عبارته بغتة ، واتَّسعت عيناه فى رُعْب ، حينما فوجئ بواحدة من سيَّارات الشرطة تعترض طريقه ، وهتف فى صوْت مُخْتَنِق :

ـ اللّعنة !!.. لقد وقعنا .

نسيَ الأوّل كل ما يتعلّق بـ(عصام) ، وضرورة قتله ، وهو يصرخ فى ذُعر :

ـ عُد إلى الخلف .. لا تسمح لهم بإلقاء القبض علينا .

أوقف الثانى السيّارة ، وحاول أن يعود بها إلى الخلف ، ولكن سيّارة أخرى من سيّارات الشرطة اعترضت طريقه من الخلف ، فتهالك صوته ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ لقد انتهينا .. لقد أَوْقَعوا بنا .

اتسعت عينا الأوّل فى رُعب ، وهو يصرخ :

ـ كلّا .. لن أذهب إلى السجن .. لن أذهب إليه أبدًا .

ودفع باب السيّارة ، وقفز خارجها ، وراح يَعْدُو مبتعدًا ، وهو يطلق رصاصات مسدّسه فى وحشية وشراسة ، فجاوبه رجال الشرطة بالمِثل ، وبادلوه إطلاق النار ، حتى أصابته إحدى رصاصاتهم فى عنقه ، فجحظت عيناه ، وهَوَى صريعًا ، مُضَرَّجًا فى دمائه ، على حين صاح الثانى فى هَلَع ، وهو يرفع ذراعيه مستسلمًا :

ـ لا تطلقوا النار .. إننى أستسلم .. أستسلم .

أحاط رجال الشُّرطة بالسيّارة فى سرعة ، ودفعوا الرجل

خارجها ، وأحاطوا معصميه بالأغلال ، على حين زفر (عصام) فى قوّة ، غير مصدّق أنه قد نجا ، وأسرع نحو أحد ضباط الشرطة ، وهو يهتف :

ـ لقد حاولا قتلى .. لقد .....

ربّت رجل الشرطة على كتفه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لقد انتهى كل شىء يا أستاذ (عصام) .. اهدأ .

حدّق (عصام) فى وجهه لحظة ، ثم أشار إلى المجرم ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ كلّا .. لم ينته كل شىء ، فما زال هذا المجرم على قيد الحياة ، وهو يعلم مَنْ أمره بقتلى .

ثم اندفع نحو المجرم ، وجذبه من قميصه فى عُنف ، وهو يصيح فى وجهه :

ـ مَنْ أمرك بذلك ؟.. مَنْ زعيم سرقات الأسلحة ؟

هتف الرجل فى ارتياع :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى لو فعلت .

صاح به (عصام) فى توتُّر :

ـ من هم ؟.. من سيحاول قتلك ؟

زاغت عينا الرجل ، وهو يتلفّت حوله فى ذُعر ، مغمغمًا :

ـ لا يمكنني .. لا يمكنني .

وفجأة ، دوّى صوت رصاصة ، وسط ظلام الليل ، وجحظت عينا الرجل فى رُعب وألم ، واندفعت الدماء من ثَقْب صغير فى منتصف جبهته ؛ لتلوّث وجهه ، وتسيل على عينيه ..

وصرخ أحد ضباط الشرطة فى حزم وتوتُّر :

ـ فَلْيَحْتَمِ الجميع بالسيَّارات .

وتسمَّر (عصام) فى مكانه ، وقد توقَّع أن تستقر رصاصة ثانية فى رأسه ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد ساد هدوء تامّ ..

هدوء مخيف ..

وأسرع رجال الشرطة إلى المبانى المجاورة والمقابلة ، يحاولون تفتيشها فى اهتمام ، دون أن تُسْفِرَ محاولاتهم سوى عن ذُعْر السُّكَّان ..

لقد انتهت المطاردة هذه الليلة ..

انتهت بمصرع رجلين ، ونجاة صحفيّ ..

نجاته من فخّ تاجر أسلحة الدَّمار .

* * *

أشرقت شمس الصباح التالى ، دون أن يغمض جفن (عصام) لحظة واحدة ، أو حتى يعود إلى فندقه ..

لقد تسلَّل أوَّل شعاع للشمس إلى حجرة طبيب (أسيوط) الشرعىّ ، و(عصام) يجلس إلى جواره ، يتابع فى اهتمام فحصه للرصاصة ، التى استخرجها من مخّ المجرم الصريع ..

وبعد مراجعته للملفَّات والوثائق ، وضع الطبيب الشرعىّ الرصاصة أمام (عصام) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ ما من شكّ .. لقد انطلقت من إحدى البنادق المسروقة .

هتف (عصام) فى لهفة :

ـ أأنت واثق ؟

عقد الطبيب الشرعىّ حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ إننى أعمل فى هذا المجال ، قبل أن تُولد أنت يا فتى .

علَت حُمْرَة الخجل وجه (عصام) ، وهو يغمغم فى ارتباك :

ـ إننى لم أقصد ذلك ، وإنما أردت أن .....

قاطعه الطبيب الشرعىّ فى صرامة :

ـ تقريرى لا يقبل الشكّ .

تطلّع (عصام) إلى الرصاصة ، التى استقرّت فى سكون على مائدة الفحص ، وداعبها بسبّابته ، وهو يغمغم :

ـ هذا يؤكّد ما ذهب إليه (عماد) و (غُلا) .

سأله الطبيب الشرعىّ فى دهشة :

ـ مَنْ ؟!

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ لا عليك يا سيّدى .. لقد كنت أُحدّث نفسى بصوت مسموع ، المهم أن محاولة قتلى ، وتلك الرصاصة يؤكّدان أن زعيم لصوص الأسلحة ، هو أحد من التقيت بهم أمس .

واكتسى صوته بالحزم والصرامة ، وهو يستطرد :

ـ إنه (سليمان) ، أو (إبراهيم) ، أو (فؤاد) .. ولكن مَنْ منهم ؟.. مَنْ ؟.

* * *

٦ ـ الاسْتِجْواب ..

عقد مدير أمن (أسيوط) حاجبيه ، وهو يتطلّع إلى (عصام) ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ إنه اتّهام بالغ الخطورة يا أستاذ (عصام) ، ويحتاج إلى أدلّة قاطعة .

أجابه (عصام) فى انفعال :

ـ صدّقنى يا سيادة اللواء ، إن زعيم عصابة سرقة الأسلحة ، التى تشغل دوائر الأمن منذ شهرين كاملين ، هو أحد هؤلاء التجار الثلاثة .

لوّح اللواء بكفّه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ولكن ملفّات ثلاثتهم نظيفة تمامًا ، ولا يوجد بها ما يَشِين أحدهم .

هتف (عصام) :

ـ لأن الزعيم حريص وذكىّ للغاية .

مطّ اللواء شفتيه ، وهزّ رأسه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى أن أوجّه مثل هذا الاتهام الخطير لرجل ، دون أن أمتلك أدلّة إدانة كافية .

نهض (عصام) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ حسنًا .. أنا يمكننى ذلك .

عقد مدير الأمن حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ حَذَارِ من أن تتجاوز صلاحيات وظيفتك يا أستاذ (عصام) ، فأنت تتّهم رجالًا ذَوِى نُفُوذ .

تألّقت عينا (عصام) بغتة ، وهو يهتف :

ـ ذَوِى نُفُوذ ؟!

ثم مال نحو مدير الأمن ، يسأله فى انفعال :

ـ من أكثرهم نُفُوذًا فى رأيك ؟

غمغم مدير الأمن فى دهشة :

ـ كلهم .. فأحدهم أكبر تاجر ذهب فى الصعيد كله ، والثانى عضو مجلس محلّىّ ، والثالث هو أقرب رجل إلى المحافظة ، الذى يجوز سلطات رئيس جمهوريّة ، طبقًا للقانون .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يغمغم :

ـ أقرب رجل .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يستطرد فى صوت قوىّ :

ـ شكرًا يا سيادة اللّواء ، لقد نبّهتنى إلى نقطة بالغة الأهمّيّة .. إن أخطر رجل دَوْمًا ، هو أقرب رجل .

وأسرع يغادر حجرة مكتب مدير الأمن ، على نحو أدهش هذا الأخير ، الذى عاد يعقد حاجبيه وهو يغمغم فى ضيق :

ـ إن هذا الفتى يجلب على نفسه الكثير من المتاعب .. الكثير جدًّا .

* * *

رفع (فؤاد حمودة) حاجبيه فى دهشة ، حينما اقتحم (عصام) مكتبه على نحو غير لائق ، ثم لم يلبث أن عقدهما فى غضب ، وهو يقول :

ـ أيُرهقك لو أنك طرقت الباب أوّلًا ؟

أجابه (عصام) فى برود :

ـ إننى أعتذر .

غزَبَد الغضب فى وجه الرجل لحظات ، ثم قال فى حِدَّة :

ـ حسنًا .. ماذا تريد ؟

جلس (عصام) أمامه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ منذ متى تعمل فى تجارة الأسلحة ؟

أجابه فى عصبيّة :

ـ منذ حداثتى .. كنت أعاون والدى فى تجارته منذ كنت فى الخامسة عشرة من عمرى ، وورثت عنه متجره منذ شهرين .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ منذ شهرين بالذات ؟!.. يالها من مصادفة !

هتف (فؤاد) فى حَنَق :

ـ ما الذى ترمى إليه بالضبط ؟

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ إننى أتساءل عن تلك المصادفات العجيبة ، التى يزخر بها عالمنا ، فمنذ شهرين بالضبط ، بدأت سلسلة من الحوادث العجيبة ، هدفها متاجر الأسلحة .

صاح (فؤاد) فى غضب :

ـ أتظننى أتورَّط فى مثل تلك الأعمال القذرة ؟

غمغم (عصام) فى خُبث :

ـ إننى لَمْ أَقُلْ ذلك .

تفجَّر غضب هائل فى وجه (فؤاد) ، ومال إلى الأمام ، وهو يسأل (عصام) فى عصبيَّة :

تفجَّر غضب هائل فى وجه (فؤاد) ، ومال إلى الأمام ، وهو يسأل (عصام) فى عصبيَّة

ـ لماذا تظن أننى أفعل ذلك ؟.. أنا رجل لا تنقصنى الثروة ، أو المكانة الاجتماعيَّة ، أو المركز المرموق ، فما الذى يدفعنى لتزعُّم عصابة من لصوص الأسلحة .

هزَّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بحثًا عن القوَّة ؟

هتف (فؤاد) فى دهشة :

ـ القوَّة ؟!

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـ نعم .. إنك تحوز الثروة والمكانة ، ولكنك تسعى للقوَّة أيضًا ، وهذه القوَّة لا تتوافر فيما تمتلك من أسلحة ؛ لأن كل سلاح لديك معروف ، ومسجَّل فى دوائر الشُّرطة ، ولا يمكن استخدامه دون معرفة مصدره ، لا مفرَّ أمامك إذن من استخدام أسلحة مسروقة ، من المستحيل تتبُّعها ، دون سجلات محفوظة .

صاح (فؤاد) فى حَنَق :

ـ لماذا ؟.. ما الذى يدفعنى لتوريط نفسى فى ذلك ؟

نهض (عصام) ، وهو يقول :

ـ هذا ما سأسعى لمعرفته .

واتجه نحو الباب فى خُطُوات صارمة ، ثم لم يلبث أن توقَّف ، واستدار إليه ، قائلًا :

ـ وسأعرفه بإذن الله .

هتف (فؤاد) فى غضب :

ـ أنت واهم .

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ربَّما ، ولكن ثِق أن اسمك سيحتلّ مكانًا فى تحقيقى القادم ، الذى سيحمل نفس التوقيع .. توقيع (ع×٢) ..

* * *

٧ ــ اقتلوا هذا الفتى ..

هوَت صفعة رنَّانة على وجه أحد رجال زعيم سرقات الأسلحة ، وتعالَى صوت الزعيم ، وهو يصرخ فى وجه الرجل فى غضب :

ــ أنت غبىّ أحمق .. إننى أحيط نفسى بثُلَّة من الأغبياء .. لقد أطلقت رصاصتك فى نجاح ، وقتلت (برهوم) ، قبل أن يعترف أمام رجال الشُّرطة ، فلماذا لم تنتهز الفرصة ، وتقتل الصحفىّ أيضًا ؟

أطرق الرجل بوجهه ، وهو يغمغم فى حَنَق :

ــ كان من الضرورىّ أن أفرَّ بسرعة ، قبل أن يكشف رجال الشرطة موقعى ، ويلقُون القبض علىَّ .. إن الفرصة لم تكن متاحة لإطلاق رصاصتين ، ولقد فضَّلت منع (برهوم) من الكلام ، حتى لايُوقع بنا جميعًا .

صاح الزعيم فى غضب :

ــ غبىّ .. ما كان (برهوم) ليعترف على الفور .. كان

سيعمد إلى الإنكار ، حتى الصباح التالى على الأقل ، وكنا سنجد ألف وسيلة ؛ للتخلُّص منه خلال تلك الفترة ، أمَّا الصحفىّ فقد كان ينبغى قتله على الفور .

غمغم رجل آخر :

ــ إننا لم نعلن فشلنا فى قتله بَعْدُ .

هتف الزعيم مُحْنَقًا :

ــ ولَمْ ننجح أيضًا أيها السخيف .

ثم واجه رجاله ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ من الواضح أن هذا الصحفىّ أكثر مكرًا من الثعالب ، وأنه يملك قدرًا رهيبًا من الحظ والذكاء ، ولن ننجح فى قتله بالوسائل التقليديَّة .

سأله أحد رجاله :

ــ هل ندبِّر له خُطَّة شبيهة بتلك ، التى قتلنا بها (عاطف) فى المستشفى ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وغمغم فى صرامة :

ــ المهمّ أن نقتله .. وبلا رحمة .

* * *

نقلت أسلاك الهاتف قصَّة (عصام) ، من بين شفتيه ، إلى

أذنى (عماد) و (علا) ، اللّذين استمعا إليه فى اهتمام ، ثم قالت (غُلا) :

ــ لا تتسرَّع فى استنتاج الأمر يا أستاذ (عصام) ، فالثلاثة يمتلكون السَّطْوَة والقوَّة والنُّفوذ ، بحكم ثرائهم ، واتصالاتهم المتعدِّدة ، ولكن هل راجعت مراكزهم الماليّة ؟

أجابها فى اهتمام :

ــ نعم .. ولقد وجدت أن (سليمان) و (فؤاد) يعانيان اضطرابًا ماليًّا ، فى الوقت الحالىّ ، أما (إبراهيم) فمركزه المالىّ جيِّد ، بحكم كَوْنه تاجرًا جديدًا فى سوق السلاح ، ووارثًا لواحد من أكبر متاجر بيع الذهب والمصوغات فى (أسيوط) .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ هل يعلم ثلاثتهم الغرض من تحرِّياتك الآن ؟

أجابه فى هدوء :

ــ نعم .

لم تنقل أسلاك الهاتف حرفًا واحدًا لحظات ، حتى غمغم (عماد) :

ــ الأمر محيِّر بالفعل يا أستاذ (عصام) ، فلا يوجد دليل واحد يُدين أحدهم .

تمتم (عصام) فى حَنَق :

ــ وهذا ما يُورثنى الغيظ .

غمغمت (غُلا) فى حماس :

ــ وماذا لو استخدمنا أسلوب الاستبعاد ؟.. سنستبعد من لا يمكنه أن يكون زعيمًا لعصابة من اللُّصوص ، ونركِّز تحرِّياتنا على مَنْ يَبْقَى .

قال (عصام) فى ضَجَر :

ــ لا بأس من المحاولة .

ران الصمت لحظة أخرى ، كاد (عصام) يقسم خلالها ، أن (عماد) و (غُلا) قد تبادلا واحدة من نظراتهما الغامضة ، قبل أن ينقل إليه بُوق الهاتف صوت (غُلا) ، وهى تقول فى هدوء :

ــ حسنًا يا أستاذ (عصام) .. سنناقش الأمر أنا و (عماد) ، وسنتصل بك إذا ما توصَّلنا إلى شىء ما .

وضع (عصام) سمَّاعة الهاتف فى ضيق ، واستلقَى على فراشه يراجع كل ما حدث ، وهو يتساءل عن بداية الخَيْط ، التى يتعشَّم أن تقوده إلى كشف الزعيم ..

وبينما استغرقته أفكاره ، ارتفع فجأة صوت طرقات حازمة على باب حجرته ، فهبَّ من فراشه ، وهو يهتف فى توتُّر :

ـ من الطارق ؟

أتاه صوت حازم قوىّ يقول :

ـ النقيب (حسن علوان) ، من شرطة (أسيوط) .

تقدَّم من باب حجرته فى حَذَر ، وفرَّج بابه قليلًا ، وتطلَّع من فُرْجَتِه إلى الشابِّ القوىِّ الوسيم ، الذى يقف أمام الباب ، مرتديًا زِىّ الشرطة ، والذى ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ـ الأستاذ (عصام كامل) الصحفىّ .. أليس كذلك ؟

غمغم (عصام) فى خُفُوت :

ـ هو أنا .

قال النقيب بصوته الصارم القوىّ :

ـ لدىَّ بضعة أسئلة ، أحبّ أن أوجِّهها إليك .

فتح (عصام) الباب ، وأفسح الطريق أمام ضابط الشرطة ، وهو يقول :

ـ على الرُّحب والسَّعة .

دخل النقيب إلى الحجرة ، وهو يعقد كفَّيه خلف ظهره ، ودار بعينيه فى محتوياتها لحظة ، ثم انتقى مقعدًا قريبًا ، فجلس عليه ، وهو يقول :

ـ لقد انتهينا من جَمْع كل التحرِّيات اللازمة عن (برهوم) ، ونحتاج إلى رأيك .

سأله (عصام) فى حَيْرة :

ـ مَنْ (برهوم) هذا ؟

لوَّح الضابط بكفِّه ، وهو يقول :

ـ ذلك المجرم ، الذى قُتِلَ أمس .

نبتت بذرة من الشكّ فى أعماق (عصام) ، وهو يقول :

ـ وكيف تعرَّفتم اسمه ؟

خُيِّل إليه لحظة أن سؤاله قد صدم الضابط ، الذى غمغم فى ضيق :

ـ إننا نجيد التحرِّىَ عن مثل هذه التَّوافة .

جلس (عصام) على طَرَف فِراشِه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. ماذا تريدون منِّى بالضبط ؟

وفجأة .. ودون سابق إنذار ، رفع الضابط فُوَّهة مسدَّسه إلى وجه (عصام) ، وهو يجيب فى شراسة :

ـ نريد أن نقتلك .

* * *

٨ ــ قتال فى الفندق ..

لو أننا استعدنا ما حدث فى تلك اللحظات ، وأردنا أن نتوخّى الدّقة ، ونعطى كل ذِى حقٍّ حقَّه ، فسنقول إن ذلك القاتل ، الذى ينتحل شخصية ضابط شرطة ، شديد البأس والصرامة ، وأنه ما كان ليخطئ إصابة هدفه أبدًا ، ولكن (عصام) كان ــ لسبب أو لآخر ــ يتوقَّع هذا الموقف ..

ربَّما لهول ما واجه حتى الآن ..

ربَّما للحظة الشكّ التى راوَدته ، حينما نطق الضابط المزيَّف باسم المجرم القتيل ..

ربَّما كان هاتفًا غريزيًّا ..

المهم أنه كان يتوقَّع ذلك ، ويتحفَّز له ، فلم يكد ذلك الضابط المزيَّف يَشْهَرُ مسدَّسه فى وجهه ، حتى تحرَّك هو فى سرعة جعلته أشبه بالمحترفين ، فانحنى ، ومال جانبًا ، وراوغ ، وانقضَّ فى براعة على الضابط المزيَّف ، وأحكم قبضته على مِعْصَم اليد ، التى تمسك المسدَّس ، ورفعها إلى أعلى ، وأطلق قبضته الثانية فى وجه الرجل ..

وتأوَّه الرجل دهشة وألمًا ، بعد أن جاءت المفاجأة من نصيبه هو ، وقد كان قد ادَّخرها لـ (عصام) ، وسقط مسدَّسه من يده ، وسقط هو بمقعده أرضًا ، وعاد (عصام) ينقضُّ عليه ..

وفى هذه المرَّة ، كانت المفاجأة قد تبخَّرت ، وكان الغضب قد استبدَّ بالرجل فى شِدَّة ، فتلقَّى (عصام) بلكمة قويَّة فى معدته ، وأعقبها بأخرى كالقنبلة ، ألقت (عصام) إلى ركن حجرته ..

ومن موقعه ، رأى (عصام) القاتل يقفز ؛ ليلتقط مسدَّسه ، فهبَّ واقفًا ، وانقضَّ على المسدَّس ، فركله بقدمه بأقصى قوَّة ، وأرسله إلى نهاية الحجرة ، فصاح به القاتل فى غضب :

ــ لم يُخلق بَعْدُ مَنْ يهزم (طه) .

تفادى (عصام) لكمة قويَّة ، وجَّهها إليه القاتل ، وانحنى ليكيل له لكمة كالقنبلة ، ألقت الرجل فوق الفراش ، فتقافزت شياطين الغضب فى كل خَلْجة من خَلَجاته ، وصرخ فى جُنُون :

ــ أيُّها الصحفىّ الحقير .. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

وانحنى ليكيل له لكمة كالقنبلة ، ألقت الرجل فوق الفراش

وانقضَّ على (عصام) فى ثورة هائلة ، وحاول (عصام) تفادى انقضاضته هذه المرَّة ، ولكن قبضة الرجل اليمنى أصابت معدته فى قوَّة ، وأعقبتها اليسرى فى أسفل فكِّه ، فمادت الأرض بـ(عصام) ، وسقط متهالكًا ، متألِّمًا ..

وفى سرعة ، التقط القاتل مسدَّسه ، وصوَّبه إلى رأس (عصام) ، وهو يصرخ :

ـــ إنها نهايتك .. سأقتلك .. سأقتلك ..

* * *

مرَّة أخرى تدخَّلت العناية الإلٰهية ، لتقلب كل الأمور والموازين رأسًا على عَقِب ..

لقد كان بين (عصام) والموت شعره واحدة ، ملصقة بسبَّابة القاتل ، التى التصقت بزناد مسدَّسه ، وكادت تعتصره ، وفُوَّهته مصوَّبة إلى رأس (عصام) ، لولا أن اندفع أحد رجال الشرطة الحقيقيِّين فجأة داخل حجرة (عصام) ، وهو يَشْهَرُ مسدَّسه فى وجه القاتل ، الذى استدار يواجه خصمه الجديد فى ذُعْر ، وأطلق من مسدَّسه رصاصة ، تفاداها رجل الشرطة بانحناءة بارعة ، ثم أطلق رصاصة مسدَّسه نحو القاتل ، فنقله فى لحظة واحدة من عالَم الأحياء إلى جحيم الأشقياء ..

ومضت لحظة من الذُّهول ، و (عصام) يُنَقِّل بصره بين المجرم الصريع ، ورجل الشُّرطة ، الذى سأله فى قَلَق :

ــ هل أنت بخير يا أستاذ (عصام) ؟

نهض (عصام) ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. نعم .. لقد وصلت فى اللحظة المناسبة .. شكرًا لك .

أشار الضابط إلى مدير الفندق ، الذى وقف يرتعد خلفه ، وقال :

ــ إدارة الفندق هى التى تستحق الشكر ، لقد بلغ مسامعهم ضجيج صراعك مع ذلك القاتل ، فأبلغونا بالأمر على الفَوْر ، دون أن يخدعهم زِيّه الزائف .

هتف مدير الفندق :

ــ إننا نعلم أنك رجل خَيِّر يا أستاذ (عصام) ، ومن المستحيل أن تتشاجر مع رجل شرطة ، إلَّا إذا كان زائفًا .

تنهَّد (عصام) فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !!.. لقد أنقذت ثقتكم بى حياتى .. كيف يمكننى أن أشكركم ؟

لوَّح الرجل بكفِّه ، وهو يهتف :

ــ لا شكر على واجب يا أستاذ (عصام) .

وقبل أن ينطق (عصام) بحرف واحد ، استدرك الرجل :

ــ ولكنك ستذكر اسم فندقنا فى تحقيقك القادم .. أليس كذلك ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد :

ــ لو قُدِّر لى أن أكتبه .

* * *

تميَّز الزعيم غضبًا ، وهو يتلقَّى خبر مصرع قاتله الأثير ، وراح يوجِّه سِبَابه وشتائمه لرجاله ، حتى غمغم أحدهم فى حَنَق :

ــ وماذا يمكننا أن نفعل أيها الزعيم ؟.. إن ذلك الصحفىّ يمتلك حظًّا عجيبًا .. إنه يبدو كما لو كان محصَّنًا ضدَّ الموت .

صاح الزعيم فى وجهه بغضب :

ــ بل هو شخص عادىّ ، ولكنه يواجه ثُلَّة من الأغبياء والحَمْقَى ..

ثم استطرد ، وهو يشير بسبَّابته إلى رأسه :

ــ ولكنه لن يهزم عقلى أبدًا .

والتقط سمَّاعة الهاتف ، وهو يُرْدِف فى حِدَّة :

ــ سأقتله أنا هذه المرَّة .. سأنهى هذه العمليَّة بنفسى .

* * *

لوَّح مدير الأمن بكفِّه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ مامن شكّ .. أن مسدَّس ذلك القاتل ، هو أحد الأسلحة المسروقة من متجر (نسيم) بالقاهرة .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ مازلت أصرّ على أن الزعيم هو أحد الرجال الثلاثة .

مال مدير الأمن نحوه ، وهو يقول :

ــ اسمع يا أستاذ (عصام) .. هذه القضية بالغة الخطورة ، ولا داعِىَ لأن تورِّط نفسك فيها بأكثر من هذا .. لو أردت نصيحتى ، فأفضل ما تفعله هو أن تستقلّ أوَّل قطار ، وتعود إلى (القاهرة) .

نهض (عصام) ، وهو يقول فى حزم :

ــ اسمعنى أنت يا سيادة اللواء .. لقد أنقذتنى العناية الإلٰهية من موت محقَّق مرَّتين ، وكل منهما تشبه المعجزة ، وهذا لا يحمل فى رأيى سوى معنى واحد ، ألا وهو أن الله (سبحانه وتعالى) يريد أن أستكمل البحث .. وسأفعل .

غمغم مدير الأمن :

ــ حتى ولو كان فى هذا مصرعك .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا فى صَلابة ، وهو يقول :

ــ حتى ولو كان ذلك .

ثم انصرف بخُطُوات حازمة صارمة قويَّة ، ولم يكد يُغْلِق الباب خلفه ، حتى غمغم مدير الأمن فى حِدَّة :

ــ إنه شديد العِناد .

ثم لم تلبث ملامحه أن لانت ، وحملت شفتاه ابتسامة حانية ، وهو يستطرد فى أُبُوَّة :

ــ والشجاعة .

* * *

عاد (عصام) إلى فندقه ، وقد ازداد إصرارًا على المضىّ فى طريقه ، حتى يكشف ذلك الزعيم المجهول ، ولم يكد يصل إلى الفندق ، حتى استقبله مديره قائلًا فى اهتمام :

ــ لقد اتصل بك (سليمان بك منصور) يا أستاذ (عصام) ، وهو يدعوك لتناول طعام الغداء فى ڤيلَّته .

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ بأيَّة مناسبة ؟

هتف مدير الفندق فى حماس :

ــ (سليمان) بك من أكثر أهل المدينة كرمًا .. وهذه عادته مع كل ضيف هامّ يصل إلى (أسيوط) ، ومن العَيْب أن ترفض دعوته .

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يغمغم :

ــ كلَّا .. لن أرفض .. إننى أتوق لمقابلته .

ولم تمضِ ربع الساعة ، حتى كانت سيَّارة الأجرة ، التى استقلَّها ، توقفه أمام قيلًا (سليمان مندور) ، فهبط منها ، ونقد السائق أجره ، وتطلَّع إلى القيلًا مغمغمًا :

ــ أهو أنت ياثرى ؟

تقدَّم فى خُطُوات ثابتة نحو باب القيلًا ، وطرقه فى هدوء ، وانتظر لحظة ، ثم فُتِح الباب ..

وتراجع (عصام) فى دهشة وذُعر ؛ فمن فُرْجَة الباب المفتوح ، أطلَّت فُوَّهة بندقية صيد قويَّة ، مصوَّبة إلى رأسه .. إلى رأسه تمامًا ..

* * *

٩ ــ وسقط القناع ..

تنهَّدت (عُلا) ، وهى تلتفت إلى شقيقها ، قائلةً فى ضيق :

ــ لم يفلح أسلوب الاستبعاد أيضًا يا (عماد) .

مطَّ شفتيه الصغيرتين ، وهو يغمغم :

ــ ربَّما لأننا لم نقم به على النحو الصحيح يا (عُلا) .

ثم اعتدل مستطردًا فى اهتمام :

ــ ما رأيك أن نحاول مرَّة أخرى ؟

هزَّت كتفيها الصغيرتين ، وهى تقول :

ــ لا بأس من المحاولة .

راحا يسترجعان كل الأحداث والتفاصيل ، التى ذكرها لهما (عصام) ، ثم هتفت (عُلا) :

ــ ما زال الجميع يتساوَوْن فى نظرى .

عقد (عماد) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ إننا نحتاج إلى نقطة ترجيحية واحدة .

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ــ نعم .. نقطة واحدة ..

* * *

تراجع (عصام) فى حِدَّة ، أمام الفُوَّهة المصوَّبة إليه ، وكاد

يَعْدُو مبتعدًا ، أو يميل يَمْنَةً أو يَسْرَةً ، لولا أن صكّت مسامعه قهقهة عالية ، أعقبها صوت (سليمان) ، وهو يخفض فُوَّهة البندقية ، قائلًا .

ــ هل أخفْتُك ؟

عقد (عصام) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ بل أزْعَجْتنى .

قهقه (سليمان) ضاحكًا مرّة أخرى، وصافح (عصام) قائلًا :

ــ معذرةً يا أستاذ (عصام) .. كنت أُداعِبك فحسب .

غمغم (عصام) فى حَنَق :

ــ يبدو أننى لا أحسن استيعاب ذلك النوع من المُداعَبات .

ضحك (سليمان) ، وهو يقوده إلى حجرة الجلوس ، قائلًا :

ــ هذا طبيعىّ بالنسبة لقاهرىّ .. هل تعلم طبيعة تلك البندقية ؟

أجابه (عصام) ، وهو يستقرّ فوق مقعده :

ــ إنها بندقية صَيْد .

ابتسم (سليمان) ، وهو يقول :

ــ تمامًا .. إننى أعتبر هذا النوع أخطر أنواع الأسلحة الناريَّة على الإطلاق ، فهو لا يطلق رصاصًا ، وإنما خرطوشًا ،

عبارة عن مجموعة كبيرة من البِلَى المعدنى الصغير ، الذى ينتشر على مسافة واسعة ، ويخترق الجسد فى نقاط عديدة ، بحيث يستحيل إنقاذ من يصاب به تقريبًا ، بالإضافة إلى أنه من المستحيل تحديد مصدر إطلاقه .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَذَر :

ــ أهو تهديد ؟

ضحك (سليمان) ، وهو يضع البندقية جانبًا ، ويقول :

ــ بل دَرْس مَجَّانىّ .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم سأله (عصام) ، فى لهجة أرادها هادئة باردة ، إلَّا أنها جاءت ــ على الرَّغم منه ــ متوتِّرة حادَّة :

ــ أأنت أقدم تاجر أسلحة هنا ؟

هزَّ (سليمان) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ بل والد (فؤاد) كان أوّل تاجر أسلحة رسمىّ فى (أسيوط) (رحمه الله) .. أمَّا أنا فالثانى ، و (إبراهيم) هو الأخير .

اعتدل (عصام) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ هل ضايقك أن يفتتح (إبراهيم) متجرًا للأسلحة ؟

ابتسم (سليمان) ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .. صحيح أنه سيجعل مجال المنافسة أكبر ، بانضمامه إلى سوق السلاح ، إلّا أنه شابٌّ ذكيٌّ وناجح ، وتجارته الأولى بالتأكيد هى الذهب .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ ولماذا تؤكّد أنه شابٌّ ذكيٌّ وناجح ؟

هزَّ (سليمان) كتفيه ، وقال :

ـ السُّوق هو الذى يؤكّد ذلك ، فلقد تُوُفِّىَ والده ، وهو يُعانى عَثْرة قويَّة فى تجارته ، ولكن (إبراهيم) أقال مَتْجَر الذهب من عَثْرته ، وعاد به إلى الاتزان والاستقرار المالىّ ، وأضاف إليه تجارة الأسلحة .. إنه شابٌّ ناجحٌ ولا شكَّ .

سأله (عصام) :

ـ وماذا عن (فؤاد) ؟

مطَّ (سليمان) شفتيه ، وقال :

ـ إنه لا يرُوق له .. صحيح أنه أكبر تاجر أسلحة هنا ـ فى الوقت الحالىّ ـ ولكنه شديد العَطْرَسَة والغُرور ، خاصَّة مع منصبه فى المحافظة .

وصمت لحظة ، قبل أن يُرْدِف فى هدوء :

ـ ولكنه شابٌّ شريف على أيَّة حال .

ثم نهض ، قائلًا :

ـ ولكن دَعْنا لا نضيع الوقت فى الحديث ، فطعام الغداء مُعَدٌّ .. وأنت ضيفى .

* * *

غادر (عصام) قِيلًا (سليمان) ، وهو أشدُّ حَيْرة من ذِى قبل ، فحديث (سليمان) وأسلوبه ، ينفيان تمامًا أيَّة شُبُهات تتعلَّق بـ (إبراهيم) و (فؤاد) ، كما أن علاقاته الطَّيِّبة بأهالى المدينة ، تنفِى عنه الشُّبُهات بدَوْره ..

فمن الزعيم إذن ؟!..

راح يلقِى هذا السؤال على نفسه عشرات المرَّات ، وهو يسير الهُوَيْنَى ، فى طريقه إلى فندقه ، حتى أنه لم يشعر بتلك السيَّارة التى توقَّفت أمامه ، حتى سمع صوت قائدها يقول فى مرح :

ـ إلى أين يا أستاذ (عصام) ؟

تطلَّع (عصام) إلى وجه (إبراهيم) ، وإلى سيَّارته الفاخرة ، ثم لوَّح بكفِّه ، وهو يغمغم :

ـ فى طريقى إلى فندق .

ابتسم (إبراهيم) ، وهو يقول :

ـ ما زال الوقت مبكِّرًا .. ما رأيك أن أدعوك إلى قدح من الشاى .

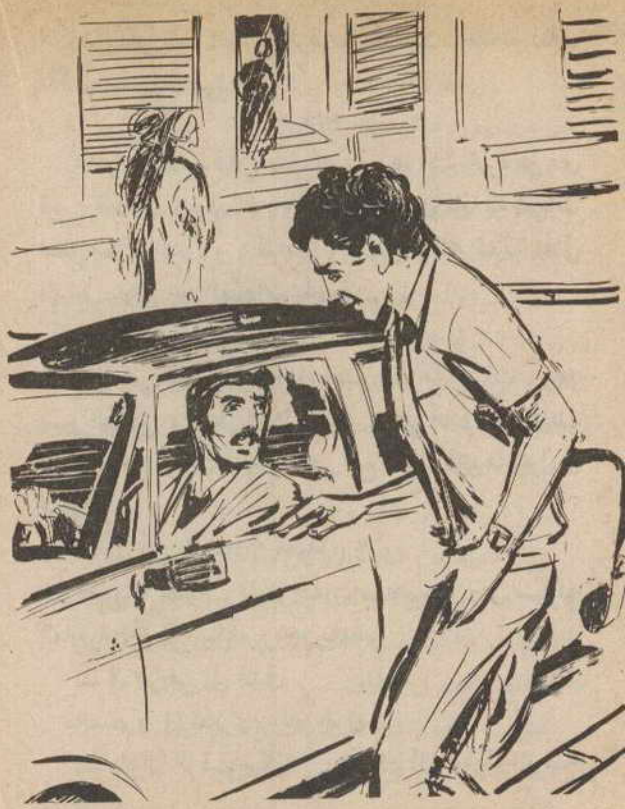

تطلَّع (عصام) إلى وجه (إبراهيم) ، وإلى سيَّارته الفاخرة ، ثم لوَّح بكفِّه وهو يغمغم : فى طريقى إلى فندق

هزَّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. إننى أتوق إليه .

ودلف إلى المقعد المجاور له ، ولم يكد يستقر فوقه ، حتى سأل (إبراهيم) فى اهتمام :

ــ إنك تملك هاتفًا .. أليس كذلك ؟

ابتسم (إبراهيم) ، قائلًا :

ــ بالتأكيد ، وهو يتَّصل بالعالَم كله .

رسم (عصام) على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

ــ إننى أحتاج إلى التحدُّث إلى (القاهرة) فحسب ..

وتلاشت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ــ سأجرى محادثة طويلة مع صبيَّين .

* * *

ترك (إبراهيم) (عصام) وحْدَه ، فى حجرة مكتبه ، ليتحدَّث مع (عماد) و (علا) ، ولقد استغرقت محادثة (عصام) لهما ربع ساعة كاملة ، نقل فيها إليهما تفاصيل كل ما حدث ، منذ محادثته الأخيرة معهما ، ثم فوجئ بـ (عماد) يهتف فى انفعال :

ــ يا إلهى !!.. لقد منحتنا النقطة التى كانت تنقصنا يا أستاذ (عصام) .. إننا نعلم الآن من هو الزعيم المجهول .

انتقل انفعاله الشديد إلى (عصام) ، فهتف فى حرارة :

ــ مَنْ يا (عماد) ؟.. مَنْ ؟

مضت خمس دقائق كاملة ، وصل فيها انفعال (عصام) إلى ذِرْوَته ، وهو يستمع إلى (عماد) و (عُلا) ، اللَّذيْن تبادلا شرح الأمر له فى اهتمام ، حتى انتهيا من حديثهما ، فغمغم (عصام) :

ــ مُذْهِل ..

ثم وضع سمَّاعة الهاتف ، وارتجف جسده فى قوَّة ، حينما سمع صوت (إبراهيم) من خلفه ، يقول :

ــ يبدو أنها كانت محادثة شديدة الخُطورة ، فوجهك مخضَّب بحُمْرة قانية .

التفت إليه (عصام) ، وحَدَجَه بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

ــ إنَّها كذلك بالفعل .. لقد كشفت خلالها شخصية زعيم عصابة أسلحة الدَّمار .

عقد (إبراهيم) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :

ــ شخصية الزعيم ؟!.. من هو يا أستاذ (عصام) ؟

حَدَجَه (عصام) بنظرة أخرى طويلة ، قبل أن يقول فى هدوء ، وبصوت شديد الصرامة :

ــ أنت يا (إبراهيم) .. أنت زعيم عصابة أسلحة الدَّمار .

* * *

١٠ ــ الحقيقية ..

اتسعت عينا (إبراهيم) فى ذُهول ، وهو يحدِّق فى وجه (عصام) ، هاتفًا :

ــ أنا ؟!..

اكتست ملامح (عصام) بقناع من الحزم والصرامة ، وهو يقول :

ــ نعم .. أنت يا (إبراهيم) .. أنت زعيم عصابة القتلة والأوغاد هذه .. أنت الرجل الذى يسعى إلى القوَّة الغاشمة ، والزَّعامة الحقيرة

انعقد حاجبا (إبراهيم) فى غضب ، على حين استطرد (عصام) فى حِدَّة :

ــ لقد تُوُفِّىَ والدك ، وتركك فى أزمة طاحنة ، تكاد تفلس تجارة الذهب ، التى ورثتها عنه ، وكان يمكنك أن تتجاوزها على نحو شريف ، لو أنك استثمرت ذكاءك فيها ، ولكنك كنت منذ طفولتك تَهْوَى الأسلحة ، وكنت تعلم أن

بيع الأسلحة غير المسجَّلة يجنى ثمارًا كبيرة ؛ لذا فقد كوَّنت عصابة لسرقة الأسلحة ، وافتتحت ذلك المتجر ، لتخفى خلفه اهتمامك بالأسلحة ، وتعاملك بها ، ولقد أخطأت حينما لم تتجه شبهاتى إليك فى البداية ، فتاجر قديم معروف ، يحوز سمعة طيِّبة ، مثل (سليمان) ، ما كان ليُقْدِم على مثل ذلك العمل ، فى تلك السِّن المتأخرة ، و (فؤاد) لم يكن ليخاطر بكل ماوصل إليه من ثروة ومكانة ، بسبب تصرُّف طائش حقير كهذا .. صحيح أن كليهما يعانى أزمَات مالية فى الوقت الحالىّ ، ولكن هذا فى حدّ ذاته يبرِّئهما ، فتاجر أسلحة دَمَار ممنوعة مثلك ، يمكنه أن يحصل على ثروة طائلة ، تُحجب عنه الأزمَات المالية ، أمَّا أىّ تاجر شريف ، فهو يعانى بعض الفترات من أزمَات مالية .. ثم إنك قد تظاهرت بجهلك لقصَّة سرقات الأسلحة ، على حين كان (فؤاد) و (سليمان) يعلمان بها ، ومن الطبيعىّ أن تصل إلى مسامعك ، ولكنك تصوَّرت أن تظاهرك بجهلها يُبعد عنك الشُّبهات .

بدا الغضب الشديد على وجه (إبراهيم) ، وهو يقول :

ــ ضربة حظّ أخرى .

هتف (عصام فى صرامة :

ــ بل استنتاج منطقىّ .

صاح (إبراهيم) فى غضب :

ــ بل ضربة حَظّ .

ولوَّح بذراعه فى حِدَّة ، وهو يستطرد :

ــ لقد بنيت استنتاجك على نقطة خاطئة ، ولكن حظك وحده هو الذى قادك إلى الحلّ الصحيح .. لقد تجاوزت الأزمة المالية لتاجر الذهب ، قبل أن أبدأ فى تكوين منظَّمتى .. إننى لم أكن أسعى إلى الثراء فحسب أيُّها الصحفىّ ، وإنما إلى القوَّة .

وتألَّقت عيناه على نحو أقرب إلى الجُنُون ، وهو يستطرد :

ــ إننى مُغرم منذ حداثتى بالمنظَّمات القويَّة ، مثل (المافيا) ، وأذُوب إعجابًا بزعمائها ، الذين نجحوا فى تحويلها إلى دولة داخل دولة ، بحيث باتت الدول والحكومات تخشى سَطْوتها وقوَّتها .. وكنت أشعر طِيلة عمرى أننى لا أقلّ براعةً وذكاءً عن هؤلاء الزعماء ، وأننى قادر على تكوين منظمة قويَّة داخل (مصر) .. وهذا ما فعلت .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة زَهْو ، وهو يُرْدِف :

ــ إننى أتزعَّم الآن منظَّمة قويَّة ، قوامها مائة رجل .. تسبَّبت أنت فى القضاء على ثلاثة منهم .. وكل منظَّمة قويَّة

تحتاج إلى أسلحة خاصّة ، غير مسجّلة ، ومن المستحيل تعقُّب مصدرها ؛ ولهذا سرقنا متاجر الأسلحة .

ارتفع صوته ، واشترك ذراعاه فى الحديث ، وهو يتابع فى جُنُون :

ــ ولقد أصبحنا نمتلك ترسانة أسلحة قويّة ، بالإضافة إلى ما أملكه فى مَتْجَرِى .

وقهقه ضاحكًا ، قبل أن يواصل :

ــ وبعد أن يمتلك متجرى كميّة لا بأس بها من الأسلحة والذخائر ، سيتعرّض لحادث سطو ، كالذى تعرّضت له متاجر الأسلحة فى (القاهرة) ، وتختفى كل محتوياته ، وتنتقل إلى مخزنى السِّرّىّ ، بحيث يمكننا استخدامها ، وهى فى نظر الجميع مسروقة ، مجهولة المصدر .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ــ أنت حقير .

صاح (إبراهيم) فى غضب :

ــ بل عظيم .. ما هى إلا سنوات ، وأصبح زعيمًا لأقوى منظَّمة فى الشرق الأوسط .

هتف (عصام) :

ــ أنت واهم .. لقد كشفت أمرك .

ارتسمت على شفتى (إبراهيم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ــ ومَنْ قال إنك ستغادر الفخّ حيًّا ؟

وبإشارة صارمة من يده ، برز من خلفه أربعة رجال أشدّاء ، يصوِّبون إلى (عصام) فُوَّهات مسدَّساتهم ، وضحك (إبراهيم) فى شماتة وغرور ، قبل أن يُرْدِف فى شراسة :

ــ إنها نهايتك أيُّها الصحفىّ الهُمام ..

* * *

امتلأ قلب (عصام) بذُعْر هائل ، وهو يتطلَّع إلى فُوَّهات المسدَّسات الأربعة ، المصوَّبة إلى صدره ، وأيقن ــ بما لا يدع مجالًا للشكّ ــ أن هؤلاء الرجال لن يتردَّدوا لحظة واحدة فى إفراغ رصاصاتهم فى جسده ، فهتف محاولًا كسب الوقت :

ــ مهلًا يا (إبراهيم) .. لست الوحيد الذى يعرف حقيقتك الآن .

ابتسم (إبراهيم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لن تفلح أيّة خُدْعة معى أيها الصحفىّ .

أشار (عصام) إلى الهاتف ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ هل نسيت محادثتى الهاتفيَّة ؟.. هناك من يعلم سِرَّك الآن فى (القاهرة) .

عقد (إبراهيم) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ يالك من ثعلب !!

ثم استطرد فى حِدَّة :

ــ ولكن هذا لا يَعْنِى شيئًا .. ما دام لا يوجد دليل واحد يُدينني .

هتف (عصام) :

ــ سيُوجد هذا الدليل ، لو أنك قتلتنى فى منزلك .

أطلق (إبراهيم) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ــ خطأ أيُّها الصحفىّ ، لقد التقطتك من شارع خالٍ من المارَّة ، وصحبتك إلى هنا ، دون أن يعلم أحد أننا قد التقَيْنا ، أو أنك هنا ، وأُراهنك أنَّ رجال الشرطة سيصابون بحَيْرة وتوتُّر بالغين ، وهم يبحثون عن جُثَّتك .

امْتُقِع وجه (عصام) ، وتراجع فى ذُعْر ، حينما التفت (إبراهيم) إلى رجاله ، متابعًا فى لهجة آمرة صارمة :

ــ أطلقوا النار ..

* * *

١١ ــ الاقتحام ..

لم يكد (إبراهيم) يُلْقِى أمره لرجاله ، بإطلاق النار على (عصام) ، حتى صَمَّ دَوِىّ الرصاصات أُذُنَىْ (عصام) ، وارتجف جسده فى قوَّة ، وانتظر أن يشعر بآلام مبرِّحة ، فى كل أجزاء جسده ، وبظلام الموت يُطبق عليه ، وينتزعُ رُوحه وأنفاسه ..

إلَّا أن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد تعالَى دَوِىّ الرصاصات حقًّا ، ولكنَّ إحداها لم تصب (عصام) .. بل لم تمسَّه ..

فقد كانت رصاصات الشرطة ..

ومن كل صَوْب ، اندفع رجال الشرطة ، يقتحمون المكان ، ويحيطون بـ (إبراهيم) ورجاله ، الذين أصابهم ذُعر هائل ، فراحوا يَصْرُخون ، ويهتفون ، ويطلقون رصاصاتهم على رجال الشرطة ، الذين جاوبُوهم بالمثل ، فأرْدَوْا ثلاثة منهم قَتْلَى ، وألقى الباقون مسدَّساتهم ، ورفعوا أذرعتهم فوق رءُوسهم ، وهم يصرُخون فى رُعْب :

ــ لا تطلقوا النار .. إننا نستسلم .

وقبل أن يُفيق (عصام) من ذُهوله ، كان رجال الشرطة يحيطون معاصم (إبراهيم) ورجاله بالأغلال ، فهتف (عصام) مشدوهًا :

ـ يا إلهى !!.. ماذا يحدث هنا ؟

فوجئ بمدير الأمن أمامه ، يبتسم ، قائلًا :

ـ بكل بساطة .. لقد نجوْتَ يا أستاذ (عصام) .

هتف (عصام) :

ـ كيف وصلتم إلى هنا ؟

اتسعت ابتسامة مدير الأمن ، وهو يربّت على كتف (عصام) ، قائلًا :

ـ لقد كنّا نراقبك ، فلقد كنت أعلم أنك ستواصل البحث والتحرّىَ ، حتى تُوقع بالزعيم ، وكنت واثقًا من أن الزعيم سيدرك ذلك أيضًا ، أو أنه يدركه بالفعل ، بدليل إصراره على محاولات التخلُّص منك ، منذ وطئت قدماك (أسيوط) ، ولقد قدّرنا أن الزعيم الحقيقىّ سيحاول إيقاعك فى مِصْيَدته ، والتخلُّص منك بلا شهود ، فعمدنا إلى مراقبتك فى إحكام .

هتف (عصام) :

ـ إذن فقد كنت تصدّقنى .

ضحك اللواء ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. إننى لم أقُلْ إننى لا أصدّقك .. كل ما قلته هو أننى لا أستطيع القبض على رجل ، دون دليل إدانة قوىّ ، وأعتقد أن إلقاءنا القبض على الزعيم ، متلبّسًا بالشروع فى قتلك ، يُعدُّ دليلًا كافيًا .

والتفت إلى (إبراهيم) ، مستطردًا :

ـ أليس كذلك أيها الزعيم ؟

غمغم (إبراهيم) فى حَنَق :

ـ سأنكر كل شىء .

ابتسم اللواء فى سخرية ، وهو يقول :

ـ سيضحكنى أن تفعل ، فهناك عشرة من رجال الشرطة سيشهدون على محاولتك قتل الأستاذ (عصام) ، وعلى أن كل سلاح كان يمسك به رجالك ، ينتمى إلى الأسلحة المسْرُوقة .

اختلط الغضب بالسُّخط والمرارة ، فى وجه (إبراهيم) ، وهو يقول :

ـ ذلك الصحفىّ الحقير هو المسئول .. كان كل شىء يسير على ما يرام ، حتى جاء إلى هنا .

هزَّ (عصام) كتفَيْه ، وهو يقول :

ـ إنه قدرك أيها الوغد ، فلم يكن من المقدَّر لحقارتك أن تنجح .

وتنهَّد فى ارتياح ، وهو يستطرد :

ـ لقد حانت نهاية منظَّمتك قبل أن تبدأ ، وانتهت اللُّعبة إلى الأبد .. لُعبة (أسلحة الدَّمار) .

* * *

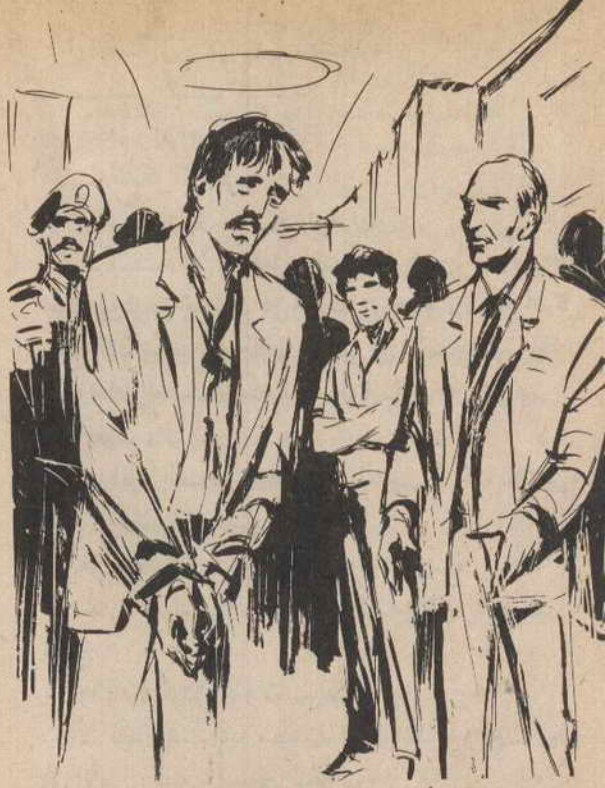

اختلط الغضب بالسُّخط والمرارة ، فى وجه (إبراهيم) ، وهو يقول :

ــ ذلك الصحفىّ الحقير هو المسئول .

١٢ ــ الختام ..

« تحقيق رائع يا (عصام) .. » ..

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى رئيس قسم الحوادث ، وهو ينطق هذه العبارة ، فابتسم (عصام) بدَوْره ، وهو يغمغم :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. إن إطراءك يُسعدنى كثيرًا .

أجابه رئيسه فى إعجاب :

ــ بل هى الحقيقة يا (عصام) .

ثم التقط من فوق مكتبه ورقة ، لوَّح بها فى وجه (عصام) ، وهو يستطرد :

ــ هل تعلم أنك قد حصلت على مكافأة من أجله ؟

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ــ كم سيتبقَّى منها يا تُرى ، بعد خصم الضرائب وخلافه .

ضحك رئيسه ، وهو يقول :

ــ مبلغ يكفى لشراء هديَّة فاخرة ، لخطيبتك (نهلة) .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ إذن فهى صاحبة المكافأة لا أنا .

ضحكت زميلته ، وهى تقول فى خبث :

ـ ينبغى أن تعتاد ذلك .

بدا لحظة أنه سيجيبها بتعليق لاذع ، إلا أنه لم يلبث أن غمغم فى هدوء :

ـ سأحاول .

ثم نهض واقفًا ، فسأله رئيسه فى دهشة :

ـ إلى أين ؟.. ما زلنا فى بداية اليوم !

ابتسم ، وهو يقول :

ـ يمكنك اعتباره إجازة عارضة .

أجابه رئيسه :

ـ لا بأس ، ولكن لماذا ؟

تخضَّب وجهه بحُمرة الخجل ، وهو يقول :

ـ اليوم عيد ميلاد (نهلة) .

أطلقت زميلته ضحكة خبيثة ، وابتسم زملاؤه فى صمت ، على حين ارتفع حاجبا رئيسه فى حنان ، وهو يقول :

ـ أنت تستحق الإجازة إذن .

أسرع (عصام) ينصرف ، قبل أن تنطلق تعليقات زملائه اللاذعة ، ولم يكد يغادر المكان ، حتى قالت زميلته لرئيسه فى لهفة :

ـ ألا يعلم ؟

ابتسم رئيسه ، قائلًا :

ـ كلَّا .. ولكنه يستحق هديَّتنا .

غمغم أحد الزملاء فى تقدير :

ـ نعم .. إنه يستحقها .

* * *

لم تكد (نهلة) تفتح باب منزلها ، وتجد (عصام) أمامها ، حتى تهلَّلت أساريرها ، وهى تهتف فى سعادة :

ـ (عصام) ؟!.. مرحبًا بك .. كم يُسعدنى ما فعلته من أجلى !

غمغم فى دهشة :

ـ ما فعلته من أجلك ؟!

تأبَّطت ذراعه ، وهى تقوده إلى الداخل ، قائلة :

ـ لم أتوقَّع أبدًا أرقَّ من هذه التهنئة بعيد ميلادى .

عاد يغمغم فى دهشة :

ـ تهنئة ؟!

ناولته صحيفة الصباح ، وهى تقول فى سعادة :

ـــ انظر .. كم هى جميلة .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يتطلَّع إلى إطار أنيق ، على هيئة زهور يانعة ، يتوسَّط صفحة الاجتماعيَّات بالصحيفة ، ويحمل تهنئة منه لخطيبته ، فى كلمات أنيقة رقيقة ، فتخضَّب وجهه بحُمْرة الخجل ، وهو يغمغم :

ـــ إنك تستحقين ذلك بالتأكيد .

هتفت فى سعادة :

ـــ شكرًا لك يا (عصام) .. شكرًا لك .

شرد ببصره لحظة ، وهو يتسم فى سعادة ، ثم سألها فجأة :

ـــ أتعلمين مَنْ هم أعظم البشر فى نظرى ؟

سألته فى اهتمام :

ـــ مَنْ ؟

تدفَّق نهر من العواطف ، مع حروف كلمته ، وهو يقول فى اعتزاز :

ـــ الأصدقاء .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٥٤١

مغامرات ع × ٢

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين تتسم بالعنف وتنمي الفكر والذكاء..

المؤلف

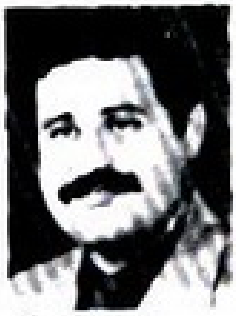

د. نبيل فاروق

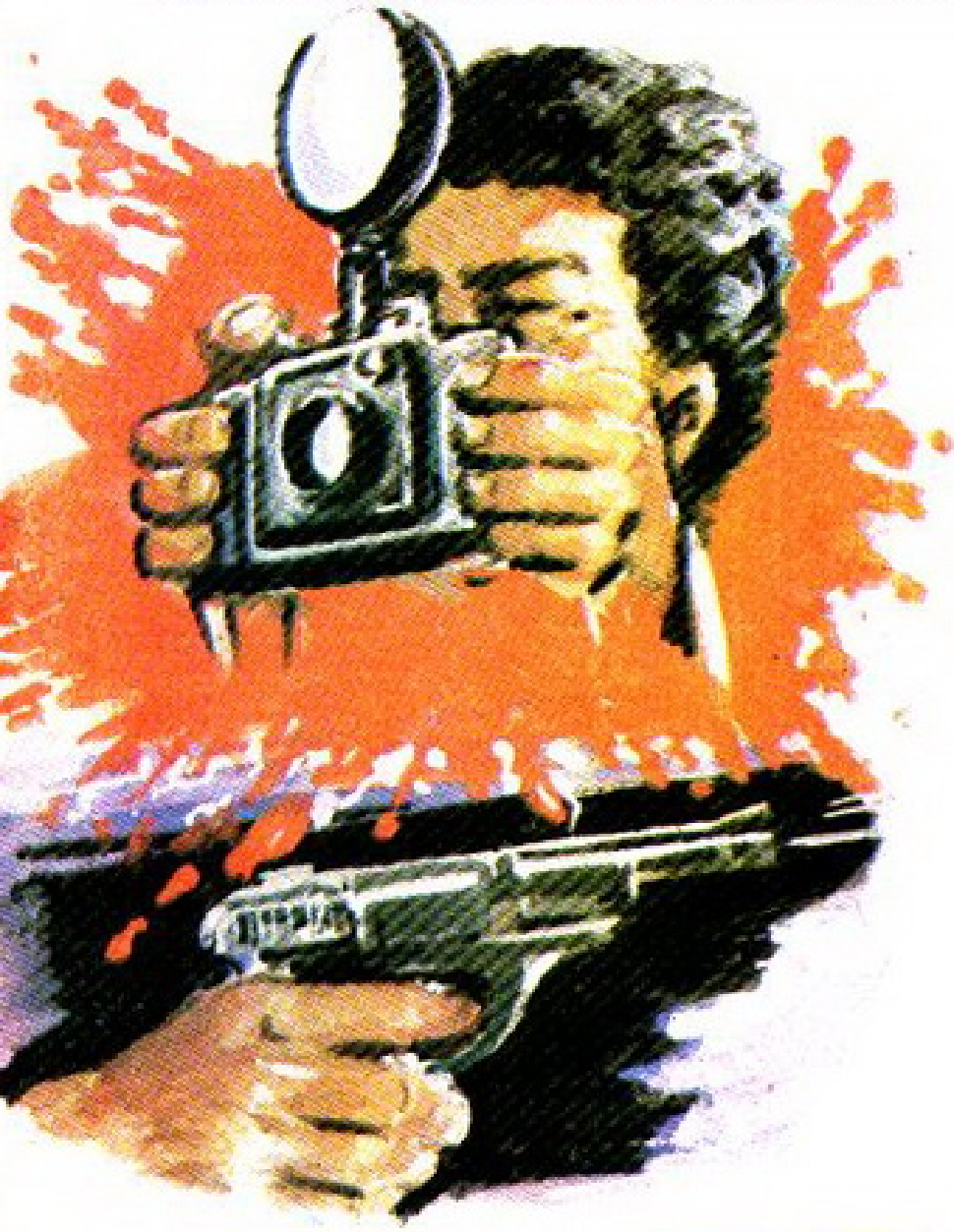

قضية أسلحة الدمار

- سرقات خطيرة، لمتجر الأسلحة الكبرى في القاهرة، تقوم بها عصابة رهيبة، يتزعمها زعيم مجهول.. مَنْ هذا الزعيم؟.. ولماذا يسعى خلف أسلحة الدّمار؟
- تُرى كيف يحلّ فريق (ع × ٢) لُغز هذه القضية الجديدة..؟
- اقرأ التفاصيل، وحاول أن تسبق فريق (ع × ٢) إلى حلّ اللُّغز.

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ٧٥ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(قضية قصر الجريمة)